

للمطالعات
العامية



المكتبة الوطنية للبحرين

الأمير أحباب

رواية



تأليف: هوشتنك كندش يري

ترجمة: سليم عبد الأمير حمدان

585

الأمير احتجاب

رواية

تأليف : هُوشَنْك كُلْشِيرى

ترجمة : سليم عبد الأمير حمدان



المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٨٥
- الأمير احتجاب
- هُوشَنْك كَلْشِيرى
- سليم عبد الأمير حمدان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 7352396 Fax : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اتجاهات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

الأمير احتجاب

تقديم المترجم

ولد هوشنك گلشیری سنة ١٩٣٧ في مدينة أصفهان، التي كانت عاصمة للدولة الصفوية ذات يوم، لأب عامل بناء - مع أنه كان ماهراً - إلا أن حياته اتسمت بالفقر نظراً لصعوبة الحصول على أعمال ولاتساع عائلته (ستة أطفال، ثم لحقهم سابع بعد الكاتب). وانتقلت العائلة في طفولته هوشنك إلى آبادان^(*) لتبقى فيها ثلاثة عشرة سنة .
كان كاتب المستقبل يعمل، وأخوه، أثناء عطلاتهما الصيفية مت肯سين لدعم العائلة .

أكمل هوشنك دراسته في آبادان، التي يعتبر سني حياته فيها فترة تشكيل حياته الفكرية. ولدى عودة العائلة إلى أصفهان في سنة ١٩٥٥ ينصرف إلى المطالعة، وتحسين لغته الإنكليزية، ونظم الشعر؛ فقد بدأ شاعرًا .

يقوده اندفاعه الأدبي، ويبحثه عن النشاطات الإبداعية أثناء إقامته في طهران - حيث اشتغل موظفاً في مكتب تسجيل عقود - إلى جمعية أدبية تكون مفتاح ولوحه إلى حزب توده - وهو الحزب الشيوعي الإيراني

(*) هي ما نسميه عبادان .

- مما عرضه إلى الاعتقال في أواخر سنة ١٩٦٣ أو أوائل سنة ١٩٦٤ ولكن معايشته لأعضاء الحزب، الذين اعتقل معهم، تبعده عن الحزب بانطباعات مريرة .

ثم ينفصل مع مجموعة من الأدباء الشباب عن تلك الجمعية، التي كانت تضم شعراء كلاسيكيين، لينشئوا جمعية خاصة بهم، كانوا أول من أدخل، بوساطتها، "بدعة" قراءة القصة ونقدها في جلسات عامة، ثم أصدروا مجلة متواضعة، وفي جلسات تلك الجمعية قرأ كُشيري أشهر أعماله، (الأمير احتجاب)، قسماً قسماً، وطوره وأنضجه ثم أعطاه لأحد زملائه في الجمعية ليعمل على نشره. وبلغ من غرابة الرواية وتعقيدها، حسب مقاييس تلك الأيام، أن نام الناشر وهو يقرأها!

اعتُقل ثانية لمدة ستة أشهر في سنة ١٩٧٤، دون أن يدرى لذلك سبباً، ولكنه يرجح أن يكون السبب عودته إلى أصفهان وتجديد نشاطه في جمعيتها الأدبية. وقد سمع لاحقاً أن بقایا الأمراء في أصفهان اشتکوا من روايته لوزير البلط، عَلَم، الذي قرر أن "يفرکوا له أذنه"!

ومع أن المشكلة الكبرى التي نتجلت عن اعتقاله ذاك كانت حرمانه من حقوقه المدنية، وبالتالي منعه من العمل الحكومي، لكنه تمكّن من العمل محاضراً في كلية الفنون الجميلة .

وإذ بدأ مع بعض أصدقائه في النشاط لتأسيس "مركز كتاب إيران" سنة ١٩٧٨، تلقى دعوة من "البرنامج العالمي للكتابة" لزيارة الولايات المتحدة، التي لم يعد منها إلى إيران إلا بعد عودة الخميني، ظافراً، بشهر واحد، حيث اشتغل مدرساً في المدارس الثانوية ونشط في

« مكتب الدراسات الثقافية » و « المركز المستقل للعاملين في التعليم ». .
وأبان « الثورة الثقافية » في ١٩٨٠ - ١٩٨١ فصل من الخدمة !

* * *

كان كُلشيري غزير الإنتاج، فقد أصدر تسعة عشر كتاباً تنوّع بين المجموعات القصصية والروايات والمسرحيات وسيناريوهات الأفلام والمقالة الأدبية والنقدية، إضافة إلى عدد من البحوث والمقالات والقصائد التي لم يضمها كتاب، وبقيت مبعثرة في مجلات طهرانية وأصفهانية . وقد ترجمت بعض أعماله إلى الفرنسية والألمانية والإنجليزية . وترجمت قصص قصيرة منه إلى كثير من اللغات الأوروبية .

* * *

(الأمير احتجاب) أشهر أعمال كُلشيري، وقد طبعت حتى الآن عشر مرات، كانت آخرها بعد وفاته سنة ٢٠٠٠ . وتعرضت، شأنها شأن غيرها من الأعمال الكبيرة في الأدب الإيراني المعاصر، لأهواه الرقيب . فقد جرى إيقاف طبعتها التاسعة، مثلاً، بعد حصولها على إجازة الرقيب، في مرحلة التجليد، لمدة تسع سنوات !

ومع أن ظاهر القصة يروي انحلال طبقة الأشراف، وهكذا فهمها بقایا أمراء أصفهان الذين اشتکوه إلى وزير البلاط فعمل على « تأديبه » ، إلا أن الكاتب يعتبرها « قصة مسخ البشر.. (بيان) ما يحدث لشخص عندما تضنه في حدود سجن العائلة وقطع كل ارتباطاته بالعالم فترى ما الذي يحدث جزءاً فجزءاً » .

وقد ترجمت هذه الرواية في وقت مبكر إلى الإنكليزية ونشرت في الولايات المتحدة، باسم "دم النبلاء".

* * *

لا يتعصب گلشيري، في لغته، لقاوه اللغة الفارسية، ولا يبالغ باستعمال اللغة الـ « دَرِيَّة » ، وهي التي صارت لغة إيران منذ ما بعد الفتح الإسلامي. ولما كانت هذه اللغة تخلو من التذكير والتأنيث، حتى في الضمائر، يمكن للقارئ أن يتصور الصعوبة التي سيواجهها قارئه في لغته الأصلية، وخاصة في رواية مثل هذه التي بين أيدينا، معتمدة على تيار الوعي والمونولوج الداخلي .

وأخيراً، أود أن أشير إلى مسألة تتعلق بلغة الكاتب في هذه الرواية :

عند تحضير الكاتب لكتابه روايته هذه، انصرف إلى دراسة عصر آل قاجار، الذين حكموا إيران ما بين ۱۷۸۶ - ۱۹۲۵ ، عاداتٍ وتقاليدٍ . ولغةً، فالأمير منهم، وحياته تمثل حيواناتهم وموتهم يحكي فناعهم . واستغرق في دراسته تلك حتى إنه يروى أنه تعلم بعض التعابير التي استخدماها في الرواية، لكنه نسي ما تعنيه بعد فراغه منها .

ولكن المهم بالنسبة لنا أنه استخدم فارسية العصر القاجاري، وهي فارسية مشبعة بمفردات عربية،أخذت تدخلها مفردات فرنسية .

وقد حرصتُ على أن توحى الترجمة بلغة من هذا النوع .

كما أود أن أبين أن الفارسية تحوى أربعة حروف أكثر من حروفنا، هي :

پ : الباء المثلثة، وتلفظ حرف P في الإنجليزية .

ج : الجيم المثلثة أو الفارسية، وتلفظ حرفي Ch في الإنجليزية .

ڻ : الزاي المثلثة، وتلفظ حرف L في الفرنسية .

ڱ : الكاف (الجاف) الفارسية : وتلفظ كالجيم في مصر مثلاً .

ولاختلف اللفظ في البلدان العربية، وصعوبة خبط الأسماء التي ترد فيها هذه الحروف، فقد اتبعت الرسم العربي، وللقارئ أن يلفظ الأسماء التي يجدها أمامه على الطريقة الفارسية كما بينت أعلاه، كما أن له أن يلفظ حرف الواو المتحركة - في الأسماء . كالفاء المثلثة: ٧ .

كان الأمير احتجاب غائصاً في هذا الكرسي ذاته وقد وضع جبينه الساخن على عمودي يده وراح يسعل. صعدت خادمته مرة ومرة زوجته. فتحت فخرى الباب حتى المنتصف، ولكن ما إن أرادت إن تدبر مفتاح النور حتى سمعت دقة رجل الأمير فركضت نازلة. وجاءت فخر النساء أيضاً ومرة أخرى دق الأمير قدمه بالأرض.

في أول الليل عندما لفَّ الأمير داخل الزقاق، بين ظلال ما تحت الأشجار، رأى كرسياً ذا عجلات ، ومراداً، الذي كان كما هو عجوزاً ومندفعاً، يتمدد فيه. ثم المرأة التي لم يكن يبدو من شادر^(١) صلاتها غير عين واحدة .

- سلام .

وقالت المرأة أيضاً : سلام .

- مراد، ها أنت ذا مرة أخرى، أقل مائة مرة؟..

- حسن، يا عزيزى الأمير، أمورى لا تنصلح. عندما رأيت أنه ليس عندنا عشاء ليلة، قلت : يا حسنى، هاتى الكرسى، فلعل كرم الأمير يفعل شيئاً.

(١) غطاء رأس ويدن ، كالعبامة .

ومد الأمير يدا إلى جيبيه ووضع بضعة تومانات^(٢) في يد حسني .
كان مراد قال :

- ليعطك الله عمرًا وعزًا، أيها الأمير .

وحسني أيضًا : ليعطك الله خيرًا .

ودفعت الكرسي ذا العجلات وانطلق الأمير مضمحةً بالعرق، وإلى أن كان فتح الباب بمفتاحه بقى صوت العجلات في أذنه .

مع كل هذا لم يكن الأمير احتجاب يخشى شيئاً، أعطى عصاه وقبعه بيد فخرى، قبلَ خد فخر النساء المزفَّ وصعد إلى أعلى . أغلق الباب، وهناك بالذات، في الظلمة، جلس على كرسي راحته، وذهبت فخرى إلى المطبخ، ولكن لما رأت أن القلق لا يزال بها، صعدت إلى أعلى . عندما ارتفع دق أقدام الأمير فرَّت وجاءت إلى غرفتها فجلسَت قبالة المرأة، أذنها منصَّة إلى أدنى صوت من الغرفة العليا، إذ ربما ينتعش خلق الأمير فيهبط السالم بخطوات موزونة وينادي :

- فخرى !

تضع فخرى عصابة الرأس المثلثة في جيب مريلتها، تغير قميصها، تجلس أمام المرأة وتزرق وجهها سريعاً، تمشط شعرها وتذهب إلى غرفة الطعام فتجلس أمام الأمير، وهو يتناول عشاءه. وإنما يصعد الأمير إلى فوق تجمع فخرى الأطباق وتغسلها، وتزرق فخر النساء نفسها وتدخل غرفة النوم لكي يظهر الأمير حوالي منتصف الليل ويقول خفيض الصوت :

(٢) وحدة نقد إيرانية ألغيت وبقي اسمها يطلق على كل عشرة من الريال الحالي .
تبليغ قيمة التoman اليوم نحو واحد من ثمانمائة من الدولار الأمريكي .

- نائمة، يا فخر النساء؟..

ولكن الأمير احتجاب لم يكن عنده الليلة نشاطٌ كل ليلة ويقتضتها. جلس، ككرسي راحته، هادئاً. ويضغط أحياناً فقط، عندما يخض السعال كتفيه، جبينه الساخن على كفى اليدين كى يتمكن أن يحس على نحو أفضل عرق جبهته، أو ينسى نظرات جده وجده، وأبيه وأمه وعماته، وحتى فخر النساء، الشامنة تلك.

كان الأمير يفهم أن حمى الأجداد إياها هي ما استولى عليه. ولكن قلبه لم يكن يطأوه أن يسلم نفسه، مثل تلك الغرفة الواسعة التي خلت في كل مكان من كل العتيقات، إلى السعال والحمى.

كانت رائحة العطن ملأت الغرفة. والسباحة تحت قدمه. وكل جسد الأمير لا يملأ غير زاوية من كرسي الأجداد ذاك. والأمير يحس صلابة الكرسي وثقله تحت بدنـه. كان صوت الجداجد خيطاً بلا انتهاء، شليلة ضائعة الرأس استمرت على عرض المساء بأكمـله :

ربما كانت بين ثنايا علف الحديقة الوحشى، أو.. قلت: « يا فخرى، ضمـى هذه الستائر يـاحكمـ. لا أـريد أن أـرى أيـا من مصابيح الشارع اللـعينـة تلك ». قـالت فـخرى : « يا عـزيـزـى الأمـيرـ، تـفـضـلـ، فـى الـأـقـلـ، بالـسـماـحـ لـى أن أـفـتحـ النـافـذـةـ كـى يـتـغـيـرـ هوـاءـ الغـرـفـةـ قـليـلاـ ». .

وصـاحـ الأمـيرـ :

- أـنتـ أـخـرسـىـ . أـفـعلـىـ فـقطـ ماـ أـقولـهـ .

كانت فخرى تشد مريلة. المكنسة في يدها. بخطاء الرأس المورد ذاته والعينين السوداويين الحيتين إياهما وذلك الفم المفتوح نفسه. كان صف أسنانها الكبيرة، أبيض. قالت :

- إذن فتفضل بالسماح بأن أنظر أطر التصاوير هذه .

- لا، لا يلزم، أفهمت؟ ما عليك إلا أن تهتمي بذلك الغرف .

كم كان فم فخر النساء صغيراً! من الصغر بحيث أنها عندما تضحك لا يظهر إلا القليل من أسنانها البيضاء، تنظر من على، من وراء زجاجتي النظارة السميكتين هاتين. لا ينكسر الخطان اللذان يقطعان عنقها في أي وقت. كان الخطان يبلغان خطى الكتفين واليدين اللتين كانتا، ولم تكونا، وراء ثوب التل الأبيض ذاك. قالت : «أيها الأمير، كُوِّمت هذه فوق بعضها كي يصير ماذًا؟ لو قرتبها، أو تفضل فَمُّ الف...» وسحبت إصبعها الطويل والأبيض على عرف الحصان . كان الحصان أبيض مرقطاً بنقط بنية فاتحة . كان الخط يجتاز كل العرف حتى الذيل .

كانت فخر النساء واقفة قرب العربية ذات أربعة الخيول ، بذلك الثوب التل الأبيض الذي تصير له ثنيات على صدرها ، ويعينيهما اللتين تنتظران من وراء زجاجتي النظارة الكبيرتين ، أو لا تنتظران ، نفسها. لكنها قالت :

- يا فخرى ، أ عندك كبريت ؟

أخرجت فخرى من جيب مريلتها، وقالت :

- تفضلى .

قالت فخر النساء : أنيرى أنت .

أشارت إلى الثريات ، بتلك اليد التي كانت داخل الكم ذى الثنائيات ذاتها، حتماً. أثارت شموع الثريات جميعاً. يا للنور! فخر النساء لا يطرف لها جفن ، حتماً. قالت : « أقدي الشمعدانات أيضاً ». وأشارت باليد ذاتها .. أو لم تشر. قلت: « ما هذا العمل ، يا فخر النساء » . قالت : « ماذا هناك ، أيها الأمير؟ ». لم تكن عيناهما مرئيتين. لم تكونا مرئيتين تماماً في أي وقت . كانت الشعلات ترتجف في عدستي نظارتها. وضعت الكتاب الذي كان تحت إبطها على الرف . أخذت ذيل تنورتها بيدها . عبرت من فوق الأشياء الصغيرة ورفعت ساعة الجد الأكبر، فملأتها. ارتفع صوت التكتكة. ثم ملأت بعد ذلك أيضاً ساعة الجد والأب ثم ساعات الجيب . قالت : « يا فخرى ، لماذا أنت واقفة؟ هيا ساعدي ». ساعدت فخرى ، وأنا أيضاً. دقت ساعة الجد، بصوت مرتفع ومتقطع. جاء الفراشون . كانوا خمسة ، طوال القامات ، بشوارب مفتولة. وضعوا أياديهم على صدورهم تفخيمًا وعانونا. قالت فخر النساء : « أتفضلت باللحظة ، أيها الأمير العزيز؟ هذه حتماً أهدافها القائم بالأعمال الروسي لحضررة الأنور القدس » . ونظفت بإصبعها غبار حاشية أسفل الساعة . قلت : « يا فخر النساء ، إنتي أزهق ». كل تلك العقارب تتحرك فوق الصفحات . كان صوت تكتتها مختلطاً ومداوماً. وجاء جنود بأيديهم البنادق أيضاً. ضحكت فخر النساء . دقت رجلها بالأرض وأدت تحية عسكرية . كانت النظارة قد وقعت على أنفها . كانت تضحك مرة أخرى . تبللت عيناهما دمعاً، حتماً. كانت تتحنى

وتضرب باليدين على فخذيها. كانت ضفيرتا شعر على صدرها. كان ثديها مدورين . تضحك. يتعالى صوت ضحكتها بين كل تلك التكتكة .
ضحكت فخرى أيضاً. تحركت شفتاها السمينتان فقط .

كانت فخر النساء عابسة. كانت إحدى كؤوس الذهب في يدها.
انحنت وأمسكت بالكأس أمام عين الأمير :
- انظر، أيها الأمير.

نظر الأمير. كان على متن الكأس امرأة عارية، منسدلة الشعر.
كانت تفاحة بيدها. كان غصن عنب فيه ورقتان يغطي ثديها. كان الغبار
مستقراً على بطونها وفخذيها. قالت فخر النساء :

- عزيزتي يا فخرى، خذى اثنتين من هذه إلى المختبرة .
قال الأمير: ولكن هذه..

- أريد أن أرى كيف يكون طعم الشراب في هذه .
كان في يدها مسدس. قائلة : معلو؟
قال الأمير: لا أدرى .

قالت فخر النساء : هات أُر، يا بنت .

ومدت يدها في جيب مريلة فخرى فأخرجت المنديل . نظفت
الأسطوانة أولاً ثم ... إذ قال الأمير:
- لا تمسّي الزناد.

قالت: أخفت ، يا أمير؟

عيس . كانت النظارة لا تزال على أنفها . وجهت الأسطوانة نحو الجدار ونظفتها ووضعتها أمام القنديل . ثم مدت يدًا على الأسطوانتين وعلى صف الرصاص ، واحدة واحدة . نظفت قرون الوعل . أمسكت نظارتها بيدها . كانت فخرى واقفة وراء ظهر سيدتها . كانت يداها في جيبي مريلتها . التفت فخر النساء ونظرت إلى الأمير :

- كان عمرها سبع عشرة سنة . تهيبة يد الجدة الكبيرة ، حتماً .

وقالت بصوت عال وعلى نحو رجولي :

- لم نكن حتى ذلك الحين قد اصطدنا وعلا مثل ذلك . تحسنت حالنا في الواقع . أعطوا الخدم ثلاثة شالات ومحاصنين كستنائيين مع ثلاثة تومان إنعاماً .

ضحك . ضربت بإصبعها على الطاس البلاور . كان الصوت المنكسر للبلاور في جو تلك التكفة مثل جرعة ماء ، أزرق بارداً . كان الصوت أعلى . والعقارب تزحف ، بطيئة واثقة . تزحف على صدورها حتى تقترب من كل تلك الأرقام فيخرج الفراشون أو الجنود أو الراقصات . وابتلعت تكفتها مرة أخرى ذلك الصوت المنكسر . ومرة أخرى نقرت فخر النساء ، بإصبعها الطويل والأبيض ذاته . تدرج صوت البلاور في وسط كل تلك الأصوات ، ركض وارتفع ، انتشر وتسيد على كل الأصوات . ثم لم يعد ثمة إلا صوت البلاور الذي ينهار ، الذي يتتشظى في التداوم غير المنتظم والسمج لكل تلك التكفة . كانت الـ(قمات)^(٢) والخوذ على المنضدة . وكان ثمة حاويات أقلام من صدف أيضاً . رفعت خوذة الجد الأكبر ،

(٢) جمع : قمه ، وهي سلاح أقصر من السيف وأطول من الخنجر ، يكون عادة ذا حدين .

قالت : « تقدم أر، أيها الأمير ». قلت : « أرجوك كفى. لم يحل اليوم الثاني حتى بدأت؟ ». وضعت الخوذة على رأسى حتى غطت عيني. انحنت فخر النساء . كانت النظارة على عينها، تنظر إلى من تحتها. قالت : « لا يلائمك قطعاً، يا أمير. عسى ألا تكون قمر الدولة وناظر فلاحي الحداائق... ها؟ فلما توجد فيك حتى نرة واحدة من جبروت الأجداد ذاك ». قلت : « ألا يكفي، يا فخر النساء ». رفعت الخوذة ووضعتها على المنضدة. كانت الرفوف ملأى بالأشياء الصغيرة. ضربتها بالمنديل. عندما ارتفع الغبار تراجعت إلى وراء، قالت : « ألمات هؤلاء الخديم والخالمات؟ » قلت : « لقد أمرت بـالـا... » كان المفتاح عندي. وضعت إصبعاً تحت ذقني، رفعت رأسى. كان أصبعها طويلاً، مثل جسدها الذى كان بكل تلك البرودة وذلك البياض، طويلاً وبلا دم. كان ثدياهما صغيرين ومدورين وشعرها ناعماً. كانت قالت : « إننى أحب الظلام، أيها الأمير. قبل أن تأتى إلى فوق السرير، تذكر أن تطفئ ذلك المصباح ». نظرت إليها، نظرت إلى محدقة. كان إصبعها تحت ذقني : « أمرت، ها؟ إننى فلا يزال ثمة سـم أجداد فيك ». قلت : « أمام فخرى فى الأقل... » ضحكت : « تخاف من فخرى، ها؟ إنها بنت وديعة، أيها الأمير ». مسدت بيدها على شعر فخرى . جمعت فخرى كتفيها. راحت تنظر إلى زهور السجادة ، حتماً. قالت فخر النساء : « عزيزتي يا فخرى ، غداً عندما تنفضين هذه ، سأعلمك كيف ترتيبينها جميـعاً. إن مسحة الباب هذه صغيرة جداً. خذى الكتب إلى غرفتى ». كنت قد جمعت الكتب فوق بعض ، جنب الجدار. مسحت فخر النساء بإصبعها على أحد الكتب ، قالت : « سفرنـامة^(٤) »

(٤) كتاب رحلة ، تقرير سفر .

مازندران . طباعة حجرية . كم تعبت حتى حصلت على نسخة منه . أبى المرحوم من أجل أن يتمكن أن يلصق « بستاً^(٥) » بفؤاده باع ما يملك وما لا يملك ، حتى كتبه . أما أنت ..» وبإاصبعها دفعت شعرى، الذى لا بد أنه تتأثر على جبهتى، إلى وراء ، وقالت: « أريد أن أغصب كتابك ، موافق؟ » .

كانت فخرى لا تزال واقفة جنب سيدتها . قالت :

- سيدتي العزيزة ، الشموع تدخن .

قالت: أطفئيها، كلها .

أطافئتها، واحدة واحدة . قالت فخر النساء :

- عزيزتي فخرى، طقى مفتاح الكهرباء أيضًا . انتبهي لا تتحرکي من مكانك . انتبهي لتلك الزهريات، يا بنت .

لمست أصابع فخر النساء الباردة أذنی الأمير احتجاب، ثم انحناء خديه وحنكه ثم شفتيه . كانت قد أطبقت جفونها . ثم كانت تائكة اليدان الخيفitan على كتفى الأمير . مد الأمير يده . كان الجسم البارد والثقيل بين يديه . ضحكت فخر النساء . قالت :

- إنك متأخر جداً، أيها الأمير . متى تزيد أن تبدأ إذن ، ها؟

كان مسدس الجد، ثقيلاً وبارداً . كانت تكتكة الساعات التي لا تنتهي والمستمرة تملأ الغرفة ورائحة العطن ورائحة الشموع نصف المحترقة ورائحة فخر النساء التي كانت تقف في الطرف الآخر، في الظلمة . قال الأمير بصوت عال :

- ليتنى كنت فتحت النافذة حتى فى الأقل هذه الرائحة العطنة ..

(٥) الـ (بست) الكمية التي تستعمل في المرة الواحدة من الآفيون ، واللصق بالفؤاد كتابة عن التتلوّل : أكلاؤ أو شريأ أو تختينا .

وسعٌ. ولكنه كان يُعرف أنه مهما سعٌ عالياً لا يستطيع أن يهزم تلك الزجاجات الكبيرة، ذات القطعة الواحدة، للأبواب والشبابيك . وسعٌ مرة أخرى . كان الأمير احتجاب يُعرف أنه ما من فائدة، أنه لا يستطيع، أن الجد سيقى أبداً، مثل تصويره الأسود والأبيض هذا بالضيـط: مثل جلد حشـى تبـناً، سطح سـيواصل حـياته بـعيـداً عنـه وعنـ كلـ الكـتب والتصـاوـير والـرواـيات المـتناـقضـة. ولكـنه كان يـريـد أنـ يـعـرـفـ، ولوـ منـ أـجلـهـ هوـ وـفـخـ الرـنـسـاءـ، وـراءـ ذـلـكـ الجـلدـ، وـراءـ ظـلـالـ التـصـوـيرـ تلكـ أوـ بـيـنـ سـطـورـ كلـ تـلـكـ الـكـتبـ... وـقـالـ بـصـوتـ مـرـتفـعـ:

- يـنـبـغـىـ أـنـ أـفـعـلـ شـيـئـاًـ.

وسعٌ. وبين كل فراشى الخلوة والخصيان والشطار أولئك، بين صيحات ابتعدوا، صيروا عمياناً^(٦)، بين نساء الحرم والجوارى اللائى يتجمعن فى الحوض ويتصارعن أولئك .. عاريـات؟ كانـ الجـدـ الأـكـبـرـ، حـتـماًـ، يـضـحـكـ، وـيـبـسـطـ خـاطـرـهـ الـأـنـورـ.. وـيـتـحـركـ الـلـحـمـ الـحـىـ وـالـأـبـيـضـ، النـسـاءـ وـالـجـوـارـىـ فـوقـ بـعـضـهـنـ بـعـضـاًـ، وـيـتـحـركـ الـلـحـمـ الـحـىـ وـالـأـبـيـضـ، يـضـحـكـ، يـنـطـوـىـ بـالـيـدـ وـالـرـجـلـ التـىـ تـبـقـىـ فـيـ الـخـارـجـ بـيـنـ آـنـ وـآـخـرـ. عـنـدـمـاـ تـنـفـكـ كـوـمـةـ الـلـحـمـ كـانـ الجـدـ الأـكـبـرـ يـنـشـرـ إـنـعـامـ أـيـضـاًـ. فـيـ ذـلـكـ الجـانـبـ، وـرـاءـ ذـلـكـ كـلـهـ، كـانـ الجـدـ وـاقـفاًـ. أـمـ قـاعـداًـ؟ تـخـطـيـطـ مـبـهـمـ عنـ طـفـلـ سـمـينـ وـقـصـيرـ أوـ طـوـيلـ وـنـحـيـلـ بـشـعـرـ كـثـ أوـ.. وـالـعـيـنـيـنـ؟ بـسـيفـ وـغـطـاءـ رـأـسـ وـجـزـمـةـ وـبـرـيقـ أـزـارـ. وـمـرـ بـيـنـ وزـرـائـهـ وـمـشـاـوريـهـ. حـاـكـمـ وـلـاـيـةـ.. لـاـ أـدـرـىـ أـيـهاـ. وـرـبـماـ إـذـاـ مـاـ أـتـيـحـتـ فـرـصـةـ وـلـمـ يـجـلسـ لـتـلـقـىـ التـحـيـاتـ وـلـمـ يـأـتـ رـجـالـ الـدـيـنـ كـىـ يـدـعـواـ لـلـذـاتـ الـمـقـدـسـةـ أـوـ لـمـ يـتـشـرـفـ الـأـمـرـاءـ بـتـقـبـيلـ الـأـرـجـلـ..

(٦) نداء كان يطلقه خـيمـ خـصـوصـيـونـ أـمـامـ مواـكـبـ الـأـعـيـانـ ، لـمـ جـرـدـ التـبـيـهـ كـىـ يـتـخـذـ المـارـاةـ حـذـرـهـ مـنـ سـنـابـكـ الـخـيلـ وـعـجـلـاتـ الـعـرـيـاتـ ، وـإـنـماـ لـكـىـ يـبـنـواـ شـعـائـرـ الـاحـتـرـامـ لـمـوكـبـ وـصـاحـبـهـ .

- إذا ما قلعوا عين عصفور، إلى أين يمكنه أن يطير؟

وستعل طويلاً وبامتداد.. وأدرك أنه لا يمكن فترك كى يبقى الجد كما كان تصويراً جالساً على تخت أو على ظهر جواد هادئ أو وراء كوم اللحم عديم الشكل والحي والضاحك .

ومسد الجد شاربه الكث بيده، سعل واهتز داخل إطار تصويره. عندما استقر الغبار، رأى الأمير اللون المرهق لوجه الجد وخطوط الجبهة العميقية تلك وطبقتين من لحم اللجد. نقض الجد الذرور عن كمه. كانت جاكته الـ «سرداري»⁽⁷⁾ المطرزة بصور الشموس عديمة اللون. كان الخط المنعكس للتصوير لا يزال على الكتف اليسرى للجد. كانت خطوط يدى الجد ذات الظلال وعديمة اللون تتشكل. ولكن الأمير كان مرة أخرى غير مبال بالمرة كى ينهض ويقف أمامه، مثل تلك الأيام، واضعاً يده على صدره قائلاً على الدوام :

- نعم يا سيدي .

حدق بؤيان أسودان من بين طيات اللحم والحواجب الكثة والرمادية تلك إلى الأمير وإلى الجدران والمدافأة. واليد التي كانت الآن كومة من اللحم والأعصاب امتدت فرفعت العصا ذات القبضة الفضية عن حاشية الرف. نظف قبضتها بمنديله. كانت خطوط الشفتين لا تزال عديمة اللون. كان كرسى الجد فى أعلى الغرفة الرئيسة. نقل اليهودى نظارته، أدار لسانه فى فمه، سحب حذاءيه على الأرض ويعينيه العمشاوين ألقى نظرة متهربة على كرسى الجد. وإنما رأى الأمير أن

(7) جاكتة تقطى حتى الركبتين ، مفتوحة الظهر ، كانت تستعمل فى عهد القاجاريين ولا تزال تستعمل على نطاق محدود اليوم .

الجد يذهب قارعاً عصاه نحو كرسيه، أراد أن يصبح: «أيها اليهودي السيني، أمام الجدا» ويرميه من الغرفة إلى الخارج. مسد اليهودي لحيته الخفيفة : - أيها الأمير العزيز، إن أركان هذا الكرسي مضعضة. قسماً بأمة اليهود أخشى أن يبقى على قلبي .

قال الأمير: صفيق، لو فهم الجد..

- الآن إذا ما ظهر واحد من الحمير حمالى المال، فهذا أمر آخر .

كان الأمير احتجاب يعرف أن ذلك اليهودي السيني لا يستطيع أن يفهم أن الأمر صعب، أن المرء لا يستطيع، من أجل لا شيء، أن يبيع ذكرياته لخمسة عشر عاماً. ولكن الآن والجد جالس مرة أخرى على كرسي الأجداد ذاك ذاته والغرفة سباعية الأبواب بمجلسها الرئيسي وزجاج النوافذ والأبواب الملون وورود وأغصان زينة الجبس على الجدران وحتى قرطيتها وكل تلك المرايا على أعمدة الجدران، تتشكل، ويصفون الطاسات والصحون القديمة على الرفوف والثريات موقدة ونار المدافأة البدعية اللون تتلاقي، برائحة الخشب المعروفة عينها، كان يستطيع أن يقول للجد: «تفضل بالتصديق أن كرسي جنابكم قيمة عندي أكثر من هذه الأموال، هذا الشيء...» وصاح الجد:

- أنت لم تترك حتى هذا؟

ورفع عصاه ذات القبضة الفضية كي يضرب مرة أخرى عقب حفيده. ولم يضرب وقال :

- صحيح أنني بعت الكثير من أراضيّ كي أسدّ مصاريف ملعناك، ولكن أنت، تفاصيل، بعنتي بعشرة آلاف تومان فقط .

أراد الأمير أن يقول: «ولكننى سبق أن أوضحت ، أنا فقط...» ولكن عندما يكون الجد لا يفهم أنه لم يعد ممكناً ركوب تلك العربية والخبب فى

شوارع المدينة، أن الخيل والسايّس والحوذى يربدون طعاماً وذلك العجوز
الحوذى أيضًا يجب ألا يَحْسَنَ الخيل بمفرده، ألا يقطع من امرأته
وأطفاله ويعطى الخيل. أو أن يغسل كل صباح تلك العربية العتيقة... .

- تفضل ، يا حضرة الأمير احتجاب .

كان الحوذى قد أمسك قبعته البهلوية^(٨) العتيقة بيده، يده على
صدره^(٩)، إلى أن انحنى على الأرض وأشار بقبعته إلى العربية. نهل
الأمير دفعة واحدة، إن نوابتى شارب مراد خان^(١٠)، اللتين كانتا تتذليلان
طوال سنوات من جانبي فمه، تصلان إلى خديه.

- تفضل، أيها الأمير احتجاب .

ركب الأمير وألقى بنفسه على المهد. وضع مراد خان قبعته على
رأسه وجلس على المهد الأمامي. ساق الخيل وعبر الشارع المغطى
بالحصى في وسط البستان عنواً .

- يا مراد خان، سق أبطأ .

- لا تخف، أيها الأمير العزيز.

كانت العربية تجتاز الشوارع. يلتفت الناس وينظرون. ويرى الأمير
احتجاب كيف يختلط البخار الساخن من أفواه الخيول وفم مراد خان

(٨) القبعة التي فرضتها رضا شاه ، مؤسس السلسلة البهلوية ، غطاء رأس موحداً
للرجال ، وهي تشبه القبعة العسكرية الفرنسية .

(٩) كنایة عن الاحترام .

(١٠) لقب كان يطلق أساساً على رفقاء القبائل والملائكة ، لكنه صار يستعمل مجرد
إبداء الاحترام الودي .

وكيف أقام مراد خان ظهره المحنى وراح يسوط الخيل. كانت حدوات الخيل تقعق على إسفلت الشوارع .

- هشنا

عند المفترق شد مراد خان لجام الخيل. ورأى الأمير أن مراد خان انحنى وسقط. لابد أن حوافر الخيل زلت. وفوق ذلك الإسفلت المتجلد أيضاً. بالضبط بين أرجل الخيل وعجلات العربة سقط. مازالت العربية تُسحب على الأرض. لم يئن أصلاً. قال فقط :

- لا خوف على، أيها الأمير. مازلت أقدر.

كان الأمير احتجاب الآن يهوى أن يوضح لجده لماذا طرد الخدم بالركلات والكلمات خارجاً، بمن فيهـم مراد، وقال :

- من طقطقة عكاـزـيـهـ العـيـنـينـ لمـ نـكـنـ حتـىـ نـشـرـبـ المـاءـ هـنـيـاـ.

صرخ الجد:

- وأنت يا ابن المحرق^(١١)، طردته كـيـ يـذـهـبـ فـيـ جـلـسـ هـنـاكـ ويـقـولـ إنـ الـأـمـيرـ الـكـبـيرـ، يـعـنـىـ أـنـاـ، مـاـ الـذـىـ لـمـ أـفـعـلـهـ، كـيـفـ أـنـتـ بـيـدـيـ قـتـلـتـ أـمـيـ السـلـيـطـةـ، أـنـتـ ذـهـبـتـ إـلـىـ بـاـبـ مـنـزـلـ حـجـةـ الـإـسـلـامـ وـكـهـفـ الـمـقـمـنـاتـ وـقـلـتـ لـخـدـمـ السـيـدـ^(١٢): «ـقـوـلـواـ لـهـ أـنـ يـاتـىـ إـلـىـ الـخـارـجـ». ذـهـبـ خـدـمـ السـيـدـ وـجـاؤـواـ وـقـالـواـ لـىـ، لـلـأـمـيرـ الـكـبـيرـ: «ـيـتـفـضـلـ السـيـدـ بـالـقـوـلـ إـنـ كـلـ مـنـ اـعـتـصـمـ جـالـسـاـ فـيـ ظـلـ تـوـجـهـاتـ السـيـدـ...ـ» فـضـرـيـتـ باـسـتـقـامـةـ فـيـ صـدـورـ الـخـدـمـ وـبـخـلـتـ إـلـىـ الـحـرـمـ. زـعـقـتـ النـسـوـةـ الـلـائـىـ كـنـ يـجـلـسـنـ

(١١) شـيـتمـةـ عـامـةـ ، لـاـ تـعـنـىـ شـيـئـاـ مـحـدـداـ .

(١٢) أـىـ: مـنـ نـسـلـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ) .

حول الحوض وتراكمهن إلى الفرف دخلت أمي السليطة إلى الغرفة.
أغلقت الباب وألقت نفسها وراء الباب وما أن قال خدم السيد: «يتفضل
السيد بالقول...» حتى كسرت إحدى الزجاجات الملونة وأرحتها ببعض
طلقات كى لا تعود ترتكب حماقة وتنطوى في ظل توجهات السيد...»

وما أن أوشك الأمير أن يسأل: «يا جدى، لماذا ذهبت فاعتصمت في
بيت السيد؟» حتى صاح جدى، الذى كان يتمشى بخطى طوال داخل
الغرفة ويدير العصا ذات القبضة الفضية حول يده :

- أنت، لماذا طربت مراد برجليه المكسورتين كى يذهب فيجلس هنا
وهناك..؟

- لقد أوصيت فحصنعوا له مقعداً ذا عجلات. عندما ماتت زوجته
تبشرت له امرأة، فى شيخوخته، لعله يستقر فى زاوية ما. ولكن، أفكان
تارك؟ لا يحل الظهر حتى يأتي بكرسيه ذى العجلات إيه، فيعبر
الشارع وسط البستان. ثم يصعد بمعونة حسنى، زوجته، كل تلك
السلام إلى أعلى وعندما أسمع هسيس العجلات أعرف أنه جاء مرة
أخرى كى يقول: «أيها الأمير العزيز، أعطاك غلام رضا خان عمره».

قال الجد: غلام رضا خان؟

قال الأمير: ألا تتذكرة؟ ابن الحاج صمصم، حفيد فخر الزمان.
كان ابن عمك النبيل. ذاك الذى لم يكن يأتى ليتشرف بلقياكم إلا فى أيام
الاستقبال العام. يلعب دائمًا بسلسلة ساعته. لم يكن يجرؤ على تدخين
السجائر مقابل الأمير الكبير، أمامكم .

- آها!

- أصيب بالفنرينة. انتفع كل جسده، صار وجهه بهذا الحجم .
لم يعد ممكنا معرفته رحمة الله، مات بصعوبة بالغة. كان مطروحا في السرير سنة كاملة .

هز الجد عصاہ فى الهواء :

- وطردته من أجل هذا فقط، ما؟

- لا، لم يكن هذا وحده. عندما جلب خبر موت كل أولاد العم وبينات العم، لحاً وغير لح، أولاد الخالة وبينات الخالة لحاً وغير لح، وأبناء العم وبينات العم لحاً وغير لح، قلت: ارتحت. ولكن مرة أخرى في الغد، قبل أذان الظهر، عاد للظهور. قلت: « يا مراد خان، لا أصابك التعب » .

قسم مراد خان شاربه وخال شعر رأسه بيده :

- من لطفك، أيها الأمير العزيز..

كانت حسني تقف وظهرها إلى العمود. لم يكن ظاهراً منها غير عين واحدة .

قال الأمير:

- حسناً؟

مسح مراد ساقيه بيده ولف سيجارته:

- أيها الأمير العزيز، أعنديك خبر بأن الحاج تقي أعطاك عمره؟

نظر الأمير احتجاب إلى يديه. كانتا بيضاوين وصفيرتين :

- الحاج تقي؟

- كان عطّار جملة. كان عنده حانوت في أدنى السوق. كان إنساناً ورعاً، أيها الأمير. لا يترك صلاة الليل. قضى نحبه ليلة أمس على سجادة الصلاة، يا للراحة !

وقال الأمير: أتفضلت بالانتباه، يا جدي؟ حتى لو لم يمعت أحد فإنه يأتي من الشارع نفسه والسلام ذاتها، يلف سيجارة وينفتح باب قلبه:

- كنتُ من خيالتهم. أسرجنا خيلنا وصالبنا بنادقنا على صدورنا. وأعطوا كل واحد منا صفي رصاص. كان الأمير الكبير قد قال: «انتبهوا ألا تقتلوا الرعايا» ذهبنا عنواناً إلى قرية جرنوبيه. أجلسنا بضعة خيالة في المعابر كي لا يهرب عم أبيك. عندما هدا بالنا من أنه لا يريد حريراً، ذهبنا إلى القرية. هناك أيضاً لم يكن ثمة أثر من حملة البنادق. صاح الأمير الكبير: «ألوا» ذهب الجميع إلى بيوتهم وأغلقوا الأبواب. ذهبنا نحن عنواناً إلى قلعة الأسياخ. جاء عم أبيك لاستقبالنا. كانت يده ترتজفان. كان في يده بعض أوراق. يريد قائلًا: «يا أخي الأكبر، سندات الملكية هذه، هذه السندات. أنا لا أريد شيئاً. فقط تفضل بالسماح بأن أقيم في هذه القرية مع زوجتي وأطفالي». قضم الأمير الكبير نواة شاريه. نزل عن حصانه وأعطاني اللجام بيدي. جلب الخيالة عم أبيك مجرجين إيهاه إلى الغرفة. وجلبوا أطفاله وامرأته القروية أيضاً. قال الأمير الكبير: «كم جروا عندك؟»

قال الجد: أنا لم أقل، كنت أدرى. قلت: بهذا التكبير صار لك ثلاثة أطفال، أيها القروى السيئ !

قال الأمير: كانت سندات الملكية في يد عم أبي. وكان الأطفال أيضاً، حتماً، ملتصقين بسروال أمهم. أمسك أحد الخيالة بيده زوجة عم

أبي، وضررت أنت، بظاهر كفك لطمته وجهه عم أبي الذي وقع من هذه الضربة على أرضية الغرفة. وتناثرت السنادات أيضاً في الغرفة. قيد أحد الخيالة يديه ورجليه، ووضعت أنت وسادة على وجهه عم أبي وجلست فوقها، كان مراد يقول هذا.

قال الجد: كان قد أرسل خبراً: «هذه الأملاك إرثي أنا أيضاً من أبي، واحدة لك، واحدة لي». ابن امرأة قروية حافية معى، مع الأمير الكبير!

قال الأمير: قال مراد: «عندما ذهب صاحب السمو إلى الصيد، في قرية جرنوبيه، تصبح^(١٢) المرأة التافهة . ثم أرسلت المرأة خبراً بأنها حبلت، ثم تنازل صاحب السمو للطفل عن بعض قرى».

قال الجد: كان قد تصيفها منذ شهر واحد فقط.

قال الأمير: قال مراد: «جلس الأمير على الوسادة وقال: سيجارة، لم أكن قد رأيت حتى ذلك اليوم الأمير الكبير يلامس بشفتي سيجارة، فزعتُ، كانت يدي ترتجف. كان الخيالة يقفون حول الغرفة. بقى فم زوجة عم أبيك فاغراً، لا تبكي . كان عم أبيك ما يزال يحشرج عندما لفت السيجارة وأعطيتها بيد الأمير الكبير. كان عم أبيك لا يزال يتحرك. أرثت السيجارة، كان الأمير الكبير جالساً على الوسادة ويدخن السيجارة ويلفظ دخانها من ثقبى أنفه خارجاً. كان عم أبيك يتلوى. أنارأيت قدميه» .

(١٢) أي تزوجها صيحة ، أي زواج متنة ، زواجاً مؤقتاً .

قلت: وماذا عن يديه؟ أدميتك؟

قال: لم أر.

قلت: أشدووا الحبل بإحكام؟

قال: بالتأكيد.

قلت: وماذا عن الأطفال؟

قال: كانوا أبنتين وولداً. كانت عيونهم سوداء، أيها الأمير.

قلت: أعرف هذا. ماذا كان الأطفال يفعلون؟

قال: لا أدرى، لم أر.

قلت: والجدة؟

قال: قلت لك، كنت أنظر إلى الأمير الكبير فقط إذ هو جالس على الوسادة ويدخن السيجارة.

قلت: وماذا عن امرأة عم أبي؟

قال: أظنها بك، ثم انقطع صوتها فجأة. ربما كان أحد الخيالة قد سد فمها.

قلت: أسدوا أفواه الأطفال أيضاً؟

قال: ربما.

قلت: وماذا عن جدى؟

قال: كان يجلس على الوسادة. عندما انتهت السيجارة أطفأ عقب السيجارة على يد عم أبيك ونهض وقال: «ألقوا بهم في البئر». ألقينا عم أبيك أولاً.

قلت: كم كان عمره؟

قال: حسب ظني كان عنده اثنان وعشرون سنة.

قلت: وماذا بعد؟

قال: ثم ألقينا زوجته، وألقينا بالأطفال أيضًا إلى البئر ودلقنا الحجر فوقهم.

قلت: ثم ماذا جرى؟

قال: لا شيء، عندما كنا خارجين من قلعة الأسياد أطلق الأمير الكبير النار على أحد الرعاعياء، لأنه كان قد جاء إلى قلعة الأسياد.

وكان الأمير احتجاب يرى جده جالسًا في الكرسي المحفور المطعم بالجواهر إياه ، ويُخرج دخان السيجارة من أنفه وينفس رماد السيجارة في منفحة مصنوعة بالفسيفساء، وترك حتى يبقى جده، مثل ذلك التصوير عينه، تحت غطاء ملابسه الرسمية. وسعل .

رتبت الجدة ثوب عرسها الطويل والأبيض وجمعته كى لا يتلوث بغير إطار تصويرها. عندما هبطت إلى أسفل ورأت عدم اهتمام عزيز قلبها، حبة عينها، سوت أولًا تجاعيد ثوبها، ثم رمقت الجد. كان الجد لا يزال يدخن السيجارة. والجدة، مع أنها كانت الآن شابة ونحيفة القوام، سعلت حسب عادة أيام الشيخوخة بضع سعالات صفيرة جافة. وكان الأمير احتجاب جالسًا على النحو ذاته ولم يرد أن ينهض ويسأله: « هل تائنين، يا جدتي، بأن أخبر العكيم أبا نواس؟ »

عندما رأى الأب ، الذى كان ما يزال يعود على ذلك الحصان الكمب، خسرو، حتى أنه لم ينهض فيقبل يد الجدة، أوقف الحصان وقفز هابطاً . أكان مراد موجوداً أيضاً؟ وقع الأب سوطه على ساق جزمه، كانت أزرار جاكته تبرق. كان الأمير احتجاب لا يزال جالساً. كان جبينه الساخن على راحتي يديه، استدار الحصان، ألقى نظرة، دق الأرض بحافره، صهل وشب على ساقيه. احتل عرفة كل إطار التصوير. مضى يخب واختفى وراء تلال التصوير. كان شريط الغبار والتراب ما يزال معلقاً في حاشية التلال، وسط الهواء .

كان شاحب اللون. القبعة في يده. تناثر شعره فوق جبينه. ثيابه مبللة مبللة. يعني: أكان المطر بتلك الشدة؟ كانت كتفياً الأب متهدلين من كتفيه. جاء في أول الليل. خرجت العمتان والجدة، اللائى كن تحلقن حول الجد، لدى إشارة من الجد. كانت العمة الكبرى قد أمسكت بكتفيه الجد. قال الجد:

- حسناً، قل .

أبعد الأب الشعر عن جبهته، نقل قبعته من يد إلى يد، اقتلع كتفيه ووضعهما في جيبه:

- انتهى الأمر، قدمت استقالتي .

أمسك الجد العصا بإحكام، أدارها في الهواء وضرب برأسها صدر الأب :

- حسناً، حسناً، والآن أيضاً يجب أن تخرج من هذه المخربة حتى تهدأ الأمور.

نظر الأب إلى الأمير احتجاب، الذي كان يقف الآن عند قدمه، وأمسك بيده خسرو. كانت يد الأب باردة :

- لماذا؟ لقد كنت أعمل حسب أوامر.

- حسب أوامر؟ لماذا تركتهم إذن يعتبرونك مسؤولاً؟

- كانت عندي أوامر ألا أدع أحداً يجتاز ذلك الشارع.

سعل الجد. ظهرت العممة الكبرى. لم يرَ خسرو غير رأسها. كانت عينا العممة الكبرى بيضاوين بيضاوين. قال الجد:

- حسناً، حسناً.

- ثم فجأة ظهروا. كانوا بضعة آلاف نفر، ربما. لم أكن أرى إلا سواد رفوسهم وأفواهم المفتوحة. كان في أيدي بضعة متفرقين منهم هراوات. استولى على الخوف.

مرة أخرى سعل الجد. كان رأس العصا الآن على الأرض. كان الجد متكتئاً عليها. طار لونه. كان بعض نؤابة شاربه. كانت يد الأب في شعر خسرو.

- لم أكن أريد أن يحدث ما حدث. لم أكن أظن في البدء أنه يمكن سحق الناس، وبهذه السهولة أيضاً. عندما انطلقا جاء الموج. أيدِّي هراوات وأفواه فاغرة. أصدرت الأمر: «أطلقوا عليهم الرشاشات.»

عندما ارتفع صوت العجلات والتروس والصلى، استدار موج البشر.
ابتعد سواد الرؤوس .

قال الجد: فقط؟

قال الأب: أنا لم أنظر إلى ما وراء رأسى. ولكننى أظن أنه لم يبق
وراء رؤوسنا غير الأيدي المقطوعة. وربما كانت العصى والهراوات باقية
في قبضاتها.

مرة أخرى سعل الجد:

- حسناً، وأنت الآن نادم؟

نظر إلى خسرو. أصدق الأمير احتجاب نفسه بساق أبيه. كانت يد
الأب لا تزال في شعر خسرو. قال الجد:

- أو أنك تخاف فقط أن يلقوا بك في غيابة الجب؟

ولم يعطه السعال مجالاً. جاءت العمتان وحتى الجدة . كان الجد
لا يزال يسعى. وكان الأب يقطع طول الغرفة الفوقانية ذهاباً ومجيناً.
كانت قبعته في يده وكان يسحب سوطه على الأرض.

كان الأب وراء ذلك اللباس العسكري ووراء الدخان الذي يخرج
من فمه حلقة حلقة ووراء أعين النساء السوداء المكحولة تلك أو وراء
الأشجار. كانت الأشجار تغطى كل عرض الشارع المغطى بالحصى. في
البعيد كانت الظلمة تشتد. كانت الأغصان والأوراق منحنية فوق الشارع
مثل سقف طاقي. ذلك السقف الطاقي الأخضر. رأى الأمير احتجاب،
الذى أحس البرد ثانية، أن أباه كان يضرب مجدداً برأس حذائه الحصى

ويقترب، بخطى محسوبة، من الطاق الأخضر. كان خسرو يجلس على حاشية رصيف الشارع. من قدر ما أدار رأسه كى يتبع أباء آلمته رقبته. بقىت الكرة الحمراء - بيضاء فى يده. عندما كان الأب يأتى وبهذه الخطوات المحسوبة والطويلة نفسها يمر من أمامه كان يلقى بالكرة فى ساقية الماء. ثم ينحنى ، وفىما هو يعد خطى أبيه، يبحث بيده عن الكرة فيرى أن إحدى العمتين، بهذا القميص الأسود والطويل عينه، جاءت إلى قرب النافذة وراحت تنتظر إلى أبيه.

كان قيشانى ساقية الماء أخضر وأبيض. عندما ارتفع صوت الباب انفلت الأب إلىأشجار حاشية الشارع. ذهب الخدم إلى الباب وعادوا مرة أخرى كان فى أيديهم ورقة. كان الجد يأخذ الورقة بيده، حتماً، ينظر إليها ويصرخ: «أولاد المحارق! أهناك جالس على كنز؟»

كان صوت سعال الجد يأتى من الشبابيك. كان الجد فى الغرفة خماسية الأبواب. أمسكت العمة الكبرى ذيل تنورتها السوداء بيدها ونزلت السلام :

- يا خسرو، أين أبوك؟

أشار الأمير احتجاب إلى الأشجار الكثيفة فى الجانب الآخر من الشارع. كانت العمة قد ركضت كل السلام وطول الشارع إلى جنب الأمير. مضت العمة إلى ما بين الأشجار. ولم يعد خسرو مجبراً على إلقاء كرتة فى الماء .

كان الأمير احتجاب يعرف أنه جاءت ذئبة العمتين. وجاءت العمتان بتلك الثياب الطويلة والسوداء والعيون البيضاء إليها فجلستا. ولم يرد الأمير. كان يدرى أن ثمة أشياء كثيرة وراء ظلال صورة العمتين. وإنه إن أراد فبمقدوره أن يجد في ظلمة الطرف الآخر بعيداً شيئاً مغرياً ربما، يمكن به إعادة بناء فخر النساء، أو حتى هو نفسه. ولكن عندما اقتلع العيون بمبرأة القلم، عندما صارت العمتان على ذلك البعد الشاسع، عندما كان جلد بدنيهما تغطيه تلك الثياب السود والطويلة.. كان قد انصرف منذ زمن. ومرة أخرى انسحب ذانك الجداران الأسودان والثرثاران على ظهر الأمير.

- يا خسرو خان!

- يا خسرو، تعال إلى هنا.

قالت العمة الكبرى : يا خسرو خان، ليس من شأن أمير أن يأخذ طيارة ابن البستانى.

وكان خسرو يريد تطوير طياراته الورقية. كان الجداران، بعيونهما التي أكلتها الأرضة، يجلسان إلى جانبيه. ولم يكن خسرو يفكز إلا في كيفية هربه مجدداً. كانت الريح تأتي. كانت الطيارة بذلك الذيل وأذنيها الحمراء - خضراوين على أرضية السماء الزرقاء. لم تعد تتنفس. كانت يدا خسرو الصغيرتان تعطيان خيطاً بسرعة والطيارة تبتعد. كان شريط الأذنين والذيل الرقيق ينوب في السماء الزرقاء. كان ابن البستانى واقفاً. كان قد جعل يديه ظليلة لعينيه. عندما اشتدت الريح لم تعد لدى

يدى الأمير الرقيقتين وعديمتى الدم قدرة شد الخيط . وكان الأمير يهوى أن يأتي ابن البستانى ويساعده كى يُنزل الطيارة. عندما ظهرت العمة الكبرى صاحت :

- يا خسرو خان، هذا قبيح .

أفلت الخيط من يدى الأمير. صارت الطيارة أصغر وأصغر. كانت أذناها وذنبها الحمراء - خضراء قد ذابت فى السماء الزرقاء. هرب ابن البستانى واختفى وراء الأشجار. وكانت يدا الأمير احتجاب ما تزالان دعامة لرأسه. كانت يداه ترتجفان. لم يكن يسعـلـ.

بدأ الجد أولاً. كانت سعالاته يابسة وممتدة. عندما اهتز كتفاه من شدة السعال سمع الأمير صوت اهتزاز الزجاج الملون لشبابيك القاعة. وهو الذى كان على ذلك القدر من الصفر ونحيفاً، كان يقف جنب كرسى الجد المرصع. كانت يده فى يد أبيه. كان الأب يرتدى جاكتة طويلة مزينة بالترصيع. علق سيفه قطرياً على بدنـهـ. وقد اصطف الآخرون وراء بعضهم بعضاً أيضاً: أبناء الأعمام البعيدين و.. وفي جانب الغرفة الآخر، كان يجلس رجال الدين بلحاظـمـ المدورـةـ المتـلـئـةـ وـعـمـامـاتـهمـ السوداء أو البيضاء. كانت أيديـمـهمـ على بطـوـنـهـمـ. يتلاعبـونـ بالمسـاجـعـ. ثم كان صفـ الفـراـشـينـ بالـشـوارـبـ المـفـتوـلـةـ وـطاـقـيـاتـ الجوـخـ الأـسـوـدـ. كانـ الفـراـشـونـ يـتـكـئـونـ عـلـىـ هـرـاـوـاتـهـمـ ذاتـ الرـعـوـسـ الفـضـيـةـ وـيـنـظـرـونـ أـمـامـهـمـ مـحـدـقـينـ. التـفتـ الأمـيرـ وـنـظرـ إـلـىـ وجـهـ أـبـيهـ. لمـ يـرـ إـلـاـ كـثـافـةـ شـارـبـهـ السـوـدـاءـ وـنـؤـابـتـهـ المـعـقـوـفـةـ :

من الباب المقابل ظهر فراش الخلوة، الطويل القامة، وفي يده صينية. كان على الصينية شال كشمير. دار حول الحوض. أكان في الحوض سمك؟ كانت النافورات عالية وممتدة. عندما وصل مقابل الجد انحنى. دفع الجد الشال الكشمير إلى وراء. كانت الصينية ملأى بمسكوكات الفضة والذهب والبدرات الملفوفة رؤوسها بخيوط. رفع الجد بدرة. تقدم ابن عم لح. قبل يد الأمير الكبير وما أن وضع الجد البدرة في يده حتى بدأ السعال. كان جافاً وممتدًا. اهتزت زجاجات القاعة الملونة كلها. كانت مسابح رجال الدين على بطونهم. استدار الفراشون ونظروا. كان فراش الخلوة، والصينية بيده، ما يزال واقفًا أمام الجد. مرة أخرى جاء السعال. أخرج الجد منديله الأبيض ووضعه أمام فمه. عندما اهتز كتفاه وانحنى ارتجف الزجاج الملون مرة أخرى. أطلق الأب يد الأمير احتجاب. ورأى الأمير المسابح مرة أخرى. عندما ارتفع صوت السعالات اليابس والممتد مرة أخرى سمع الأمير احتجاب صوت الثريا ورأى أن الصف اضطرب. لم يعد الأمير يستطيع أن يرى الجد. ولكنه كان لا يزال يسمع صوت سعالاته ويرى حشد الناس الذين يتولون في كل تلك المرايا الكبيرة بلا انتهاء.

كان جالساً بين النساء بخديه الغائرين . كانت عصابة رئيس الأم السوداء والتل معقودة تحت حنجرتها. كانت الأرض قد أكلت عيون النسوة اللائى كن على طرفى أمه وفوق رأسها. نهضت الأم من بين النسوة. مدت يدها التي كانت حتى الآن وراء إحدى النساء فلربما ينهض الأمير احتجاب ويأخذ بيده. ولكن الأمير كان لا يزال جالساً

مطأطاً للرأس. كانت يد أمه بيضاء. كانت عروق يدي الأم الصغيرة خضراء. وكان الأمير يدرى أن الأم، الآن، تنظر إلى النسوة في التصوير واحدة واحدة. أمسكت الأم ثوبها الطويل بيدها وجاعت فوقفت مقابل الجد تماماً، انحنىت وقبلت يد الجد ثم يد الجدة.

كانت سعالات الجد قد صارت أجف وأصمت. كانت العمات يرحن ويجهن بلا صوت. كان الحكيم أبو نواس يظهر من تحت السقف الطاقى مع رائحة المفلئ ولباده الطويل. كانت ابنة عمه، فخر النساء، لا تزال جالسة في إطار تصويرها. كانت زهرة قرنفل قرب فمها وكتاب كبير جلدي الغلاف في حجرها. بقيت أصابعها البيضاء والطويلة على غلاف الكتاب. كانت قد أمسكت نظارتها الطبية بيدها اليمنى.

نظفت فخر النساء النظارة بمنديلها الأبيض ووضعتها على عينيها مرة أخرى. نهضت. جمعت تورتها التل البيضاء. عبرت من فوق الكتاب الذي كان الآن مطروحاً فوق النقش الإسلامية^(١٤) للسجادة ونزلت إلى أسفل. وضعت زهرة القرنفل التي كانت إلى جانب فمها في الزهرية وبالأصابع البيض الطويلة ذاتها لملت شعرها. وصاح الأمير احتجاب، الذي كان يعرف أن فخرى خرقاء جداً وتتنسى دائماً أن تطلق خصلتى شعر على مقدم جبيتها، صاح:

- لا تمسمى كل هذا الأحمر على خديك السمينين. يجب أن تتعلمي أن تترافقى مثل فخر النساء، أفهمت؟ ثم أن هذا الحال اللعين يجب أن تكونى وضعته على الزاوية اليسرى من شفتيك، لا على خطمك القروى .

(١٤) النقش النباتي المستخدمة في حياكة السجاد وتزيين حواشى الكتب .

بكت فخرى وأخفت وجهها، الذى كان يلتهب من صفات الأمير، بين يديها. كانت كتفاها السمينتان الملوئتان لحماً داخل ثوب سيدتها المستعمل ذاك.

- ولكن، أيها الأمير، هى كانت سيدة، سيدة. ثم، ماذا أفعل ليدى؟
كانت يدا فخر النساء نحيلتين وبيضاوين.

مسح الأمير دموع فخرى. أمسك يديها السمينتين والليستين لحماً
اللتين تفغان رائحة صابون وخليط الطين والتبن^(١٥) - بين يديه
البيضاوين الخاليتين من الدم:

- لا تحملني هماً، إننى أحب هاتين اليدين بالذات، هاتين اليدين.
وحاولى أنت أيضاً أن تزوقى وجهك كما فخر النساء، أطلقى شعرك فوق
ثديك، وبضعة الحصول هذه على جبينك. وفى كل ليلة أيضاً البسى الثوب
الثل الأبيض ذا العواشى المدوره .

تشبثت فخرى بيدي الأمير. وضع شفيتها على جلد يد الأمير.
كانت حامية، ركعت :

- ولكن الصحنون، من يفسل الصحنون؟ من يكتنس الغرف؟
مد الأمير يده إلى شعر فخرى. ثم مسح بإبهام يده الدموع التى
كانت تنسل الآن من الخط وسط أحمر الزواق :

- هذا شغل فخرى، أنت سيدة هذا البيت، أفهمت؟ فخرى يجب أن
تفسل الصحنون نظيفاً، وتكتنس الغرف. وعندما أقرص كفلها تضحك
مقهقة وتهرب فتذهب إلى المطبخ .

(١٥) خليط تطلى به الجدران بعد اكتمال بنائها .

كانت فخر النساء تتم زواجها . كانت زهرة القرنفل لاتزال في
الزهرية .

كانت العمتان، بتلك القُمُص السود والطويلة وتلك العيون التي
أكلتها الأرض، تقفان جنب الأمير الكبير. كان الجد مسترخيًا في
كرسيه ذي المسنددين. تقدم الأب فوقف أمام الجد، نظر إلى العمتين وإلى
زهور السجادة. ثم قال :

- تفضل بالإذن بأن أخذ رخصة .

- أين؟

سعل الجد. قال الأب :

- لكتة ما انحشرت مع هؤلاء الرعاعيا تعبت. ما عدت أستطيع .

أمسكت العمتان بكتفي الجد. قال الجد :

- حستاً إذن فقد تعبت؟ لم تعد تقدر أن تكون سيد نفسك . كل هذا
الضياع وكل هؤلاء الرعاعيا يبعثون في نفسك التقرّز؟ مرة أخرى اشتقت
إلى الخدمة؟ حستاً، كما تشاء ، إذا أردت اذهب ، ولكن أعلم أنك لن
تعود أبني .

وبدأت العمتان :

- قبيح علينا أنك، أنت أمل الأمير الوحيد، تذهب فتصير خادماً
لهؤلاء .

وقالت العمة الصغرى :

- يا أخي ، انصرف عن ذلك، وفي هذا الوقت الذي ..

وأشارت إلى الجد. كان الأب قد كور يديه وعندما رأى أن خسرو واقف عند ساقه تماماً سحب يده على شعر الأمير احتجاب الناعم :

- ولكن، يا أبي العزيز، لم تعد في الأرض من فائدة، جنابكم

يعرف ...

امتدت يد الجد إلى عصاه . كانت العصا في يد العممة الكبرى .

قالت العممة الصغرى :

- إذن فمن أجل المال والدخل الأكبر تريد أن تقوم بالخدمة لهؤلاء؟

ويكت. مدت رأسها إلى ما فوق كتف العممة الكبرى. سعل الجد. كان الحكيم أبو نواس يقف عند رأسه. عندما انتهى السعال دفع الأمير الكبير الحكيم أبا نواس إلى وراء وقال :

- لم تعد في الأرض فائدة؟ في ذلك الوقت عندما أعطيت قرية كى استخلاص حياتك يا من لا تستحق كانت فيها فائدة. عندما صرفت على كل مبادلتك كانت فيها فائدة، ولكن الآن إذ أنا راحل عليك أن تعنى بهاته، عليك أن تصير عمود العائلة، لم تعد فيها فائدة. ها؟

- تفضل بالإجازة، يا أبي العزيز، إنني لا أريد ...

وصاح الجد:

- رح ولُّ، ابني أنا، ابن الأمير الكبير، يجب ألا يصير خادم محدثي النعمة هؤلاء كى يعلقوا بصدره وساماً، تف!

كان الأمير احتجاب يدرى أن أمه ستبكى الآن. ورأى أن أمه نهضت وذهبت فجلست في إطار تصويرها ومسحت دمعها. كان حول تصوير الأم أبيض أبيض. مرة أخرى سعل الجد ومرة أخرى اهتزت الزجاجات الملونة. لم تكن الجدة تسعل. كانت رائحة المغلن قد ملأت كل الغرفة والمدخل وحتى الشارع المفروش بالحصى. قالت الجدة :

- عزيزى الأمير، لقد كبر ابنك، إنه يعرف ما يفعل .

وقالت العمة الكبرى: يا فروغ سلطان، من الأفضل ألا ت...

وقالت العمة الصغرى: لا تتكلمي.

كانت الجدة تسعل. أمسكت بمنديلها أمام فمها. كان كتفاها يرتجفان، ولكنها كانت تعاود الكلام :

- أيها الأمير، لم يبق لى غير هذا الابن، وعندئذ تسمح لهاته العفريتات أن...

قالت العمة الكبرى : عفريتة، أنا عفريتة !

بكت العمة الصغرى ووضعت رأسها على كتف العمة الكبرى .

قال الأمير الكبير: لا تتكلمي بعد!

وتشبث بقبضة الكرسي. لزم الجميع الصمت. كانت الأم تبكي داخل إطار تصويرها.

كان الحسان قد جاء إلى منتصف التلال، وسرجه ولجامه ييرقان في الشمس. صهل. التفت خسرو ونظر. كان رأس الأمير احتجاب

مطأطاً، ولكنه رأى الحصان يشب على ساقيه. كان عرفه قد غطى كل تلال التصوير. كانت شُرَّابات العذار^(١٦) قد سقطت على عيني الحصان. كانت نؤابتا شارب مراد ببلغان نكافه وقد سقط ظله على الزجاج وعلى السجادة . قال الأب :

- يا مراد خان، أسرجت الحصان؟

ويكى خسرو، ورأى الأمير احتجاب أن العمتيں رکھتا ہے
ما تحت السقف الطاقى الذى كوتته الأغصان والأوراق، وراء الأب .

كانت أربعة حصن غبراء مجهزة بالأسود تجر العربة. كانت أعراض الحصن وذيلها سوداء، وكان المحمل فوق العربية أسود أيضاً. لا بد أن مراد خان قد أمسك معترضة فم أحد الحصن الأمامية وراح يمشي على الأقدام. كان الأمير احتجاب والجدة والأب جالسين على مقعد العربية. كان الأب يعبس في المرايا. كان محمل داخل العربية أحمر. كانت عروق التطريز المذهب لحمل المقعد لينة. كانت عربة الجد. وكانت المحفة السوداء، إلى الإمام، تهتز فوق رuous الجمع. كان مراد خان يلبس جاكتة سرداری وقد ألقى بالشال الأسود متعارضاً على كتفه. وكان الصبية واضعاً الشالات السود على الأكتاف يدفعون الناس إلى وداء. كان قفازاً الأب أسودين. كان الخيالة يتقدمون خبباً من طرفى العربية.

قال الأمير:

(١٦) مانزل من اللجام على وجه الفرس .

- أريد أن أترجل .

قالت الجدة: تصير تحت أيدي الخيل وسيقانها.

قال الأمير: ليكن، أريد أن أترجل.

أمسك الأب بمعصم خسرو بإحكام. كان عابسًا. كانت أزرار جاكتته السردارى تبرق. كان الطريق كله مرشوشًا بالماء. كان الناس يقفون على جانبي الطريق. كانت النسوة تمسك بأيدي الأطفال. حتى فوق الأشجار والأسطح. يتقدم الخيالة. أناموا الجد داخل المحفة وطرحوا قطعة شال عليه. لم يكن يسعن. كان شاربه مدلى وتجاعيد وجهه صافية. كان جبينه يلمع. الأم والعمتان فقط كن يبكيان. كانت العمة الصغرى قد وضعت رأسها على كتف العمة الكبرى وراحت تبكي. كان الفرسان يأتون ويمررون. كانت العمتان داخل العربية الخفية. وكانت الأم في آخر عربة. كان الناس يقفون على جانبي الشارع، خلف الجدول^(١٧) والأشجار. لم تكن الجدة موجودة. كان ثمة الأب والأم. وكانت العمتان في العربية الخفية .

كان مراد، بلباسه المخمل الأسود، بنطاله الأسود، قفازاته الجلدي الأسود والجزمة اللامعة وغطاء الرأس المصنوع من جلد حمل، يمسك معرضة فم الحصان ويتقدم ماشيًا. هناك في الأمام، كان الحشد يمضى مع المحفة. كانت الأم تبكي. كانت محفة الجدة في المقدمة. على قطعة الشال الزمردى كان ثمة ثلاثة طاسات كبيرة، ملائى ثلجًا. وكانت

(١٧) ساقية تكون بين حوض الشارع والرصيف ، يكتس ، ويُسَيَّلُ إِلَيْهَا ، الجليد شتاءً .

رشاشات ماء الورد داخل الطاسات أيضًا. كان ثمة أربع زهريات على
زوايا قطعة الشال الأربع، وزهريةتان بين الطاسات. كان صندوق أجزاء
القرآن في الأعلى، حيث كان ثمة حامل كتب أيضًا. كان الناس منكبين
على الأجزاء التي كانت على الحامل أو على ذيولهم ويقرأون، هادئين
وبلا صوت. كانت رؤوسهم تتحنى و تستقيم. كان القراء يقرأون القرآن
تحت الثريا ذات الأربعين ساق ووراء المبادر النحاس. كانت سلال
الأماليد، بمعلقاتها وريشها هناك، في ذلك الجانب الذي لم يكن فيه أحد.
لا تأتي ريح. أكان الريش أخضر وأحمر أم أسود؟.. كان أسود.

لم يكن الأمير يسمع إلا مجموعة أصوات مختلطة وغير مفهومة.
لم تكن الثريا تهتز. كانوا قد أوقدوا كل شموعها. لم يكن الأب قد أمسك
بمعصم الأمير. كان الأمير ينظر إلى أزرار جاكتته الطويلة. قال :

- أمه، أريد أن أترجل .

قالت الأم : لقد كبرت، يا أمه .

وبكت. كان الأمير يذهب جنب مراد خان. هناك في الأمام كانت
محفة الأب تهتز. قال مراد خان :

- الجميع راحلون، أيها الأمير.

ونظر إلى جزمتيه .

- كان أبوك إنساناً طيباً، أيها الأمير.

قال الأمير: أدرى .

كان الأمير احتجاب يدرى أنه الآن قد جلس جده فى إطار تصويره وركب أبوه حصانه الأغبر يخب به بين التلال . كان القراء قد أحدثوا ضجة . كان الأمير واقفاً كى يأتى كل ذلك الجمع ويروح . دفناوا الأب إلى أسفل، عند قدمي الجد وقدمي الجدة. انحنوا على أجزاء القرآن وراحوا يقرأون ويعطى موزعو الأجزاء أجزاء جديدة بآيدي الناس. القراء يقرأون بصوت مرتفع. مضى زمن طويل منذ أن جلست العمتان فى إطارى تصويرهما. كانوا قد ثقبوا أعينهما. لم تعد الأم تبكي. وسعل الأمير.

عندما فتح الباب رأى الأمير احتجاب تينك العينين السوداويين اللتين كانتا مؤطرتين بشادر الصلاة^(١٨) المورد. قال الأمير:

- أين حضرة فخر النساء؟

عندما انشق شادر الصلاة بلغ نحت الأنف وحمرة الخدين إلى الابتسامة والأسنان ثم.. عندما قال الأمير:

- قلت، يا بنت، أين فخر النساء؟

التف شادر الصلاة بدوران اليد التى كانت خلفه حول العينين فأطأرها . وكانت العينان سوداويين وحيتين ، وفي بؤبؤيهما برق . كانت ظلال الأهداب الطويلة تبلغ حاشية شادر الصلاة. عندما كشفت خطى الحاجبين المتدين والكئين واستدارة رأس السلم، لم يفهم الأمير كيف

(١٨) كان لنساء الأعيان والاثرياء أكثر من شادر . ويكون شادر الصلاة عادة أبيض

. مورداً .

صعد كل تلك السلام . وصل الشرفة. كانت فخر النساء تجلس وإياه ظهرأً لظهر، بذلك الثوب التل ذى التجاعيد إياه. تبلغ الضفيرتان الطويلتان المحيكتان غضون الخصر الخفيفة. وقف الأمير. تابع خطوط الكتفين الناعمة المناسبة والخطوط الخفية للمرفقين التى كانت وراء ثوب التل. عندما وصل ظهر الكرسى ترك الخطوط واستقرت نظرته الذاهلة على بياض مؤخر العنق، والشعر الخفيف هناك. كانت فخر النساء تجلس على كرسيها الدوار. كان إلى جانب يدها طاولة. رأى الأمير الورق البلورى ذا القبضة ثم الكأسين نواتى الساقين الكريستال الطويلتين ووعائى المن والسلوى والمكسرات. كان الورق ذو القبضة مليئاً حتى المنتصف. كانت فخر النساء لا تزال جالسة ظهرأً لظهر الأمير. تقدم الأمير. من جانب خط العنق الرقيق والتجاعيد على الكتف اليمنى، رأى الكتاب الكبير ذا الغلاف الجلدى والأصابع البيضاء والمشوقة. وضعت فخر النساء إصبعاً داخل الكتاب وأغلقته. استدارت، وما أن أراد الأمير أن يقرأ تلك النظرة الشامنة من وراء زجاج النظارة، قالت :

- تفضل بالجلوس، يا خسرو خان.

نظر الأمير احتجاب إلى الحاجز وثمار الصنوبر والنظارة وذئابة الصنوبر التي تخترق الحاجز.

- لم أرد أن أكون مزاحماً، ولكننى رأيت...

- نعم، رأيت أنك وحيد وأنه الآن، وقد توفيت الوالدة، يستحسن أن تمر بخطيبتك. تفضل.

جلس الأمير على كرسى على الجانب الآخر من الطاولة.

- كنت تعرفين أتنى قادم في حضرتك؟

أمسكت فخر النساء بقبضة الذوق، عندما كانت تصب الشراب في الكأس، سمع الأمير مرة أخرى صوت القمرية.

- تفضل، شراب منزلى، أظنه ابن سبع سنوات، أمرت بأن يجلبوا من جليل آباد.

نظر الأمير إلى خطوط وجه فخر النساء الرقيقة والمنمنمة التي كانت على ذلك القرب والبعد، وإلى انحناء خط الذقن، والعنق المنحوت والأبيض الذى كان يمتد حتى تجاعيد الثوب التل. ولكن عندما أراد أن يتابع انحناء الثديين، الذى كان ضائعاً في ثانيا تجاعيد الصدر، قال فخر النساء :

- تفضل، لن تتأخر.

- نعم، نعم.

ورشف الأمير الشراب. كان مرأ، وفيما كان ينزل من حلقوم الأمير أحس أن جبينه يعرق . قال الأمير :

- عمره سبع سنوات؟

- نعم، الشراب نفسه الذى أمرت المرحومة والدتك أن يعوده يوم خطبتنا.

نظر الأمير إلى أصابع فخر النساء البيض المشوقة. كانت أربع من أصابع فخر النساء على حافة الطاولة. واليد الأخرى..؟ وفهم الأمير أنها مخفية وراء ذلك الكتاب السميكي. قال :

- أى كتاب؟

- مذكرات جدنا النبيل.

- أنت، أنت تقرأين هذه الأشياء كي يصير ماذا؟

ومرة أخرى تحلقت الأصابع الطويلة البيضاء التي تشبه خمس سمكates بيض، ذاتها، حول مقبض الدورق ومرة أخرى غنت القمرية داخل الكأس إياباً.

- اشرب واحدة أخرى أيضاً. يعتقد الأطباء أن الشراب لل بواسير...

وضحكت. مرة أخرى رأى الأمير احتجاب ذينك الغضين الرقيقين إلى جانب الشفتين وصف الأسنان البيضاء والصغيرة. قال:

- ال بواسير؟

رطّبت المراة حلقوم الأمير. عندما كان يفك ورق المن والسلوى الشفاف، قالت فخر النساء:

- انظر، لو أتنا أردننا أن نعرف أنفسنا ينبغي أن نبدأ من هناك، من مؤلاء الأجداد إياباً.

رفعت فخر النساء الكتاب ورأى الأمير أن حفرة ارتسمت مرة أخرى فوق خال خدها الأيسر ومرة أخرى تناول شراباً.

- صدق، هذا الجد الكبير لم يكن يشكو إلا من بواسيره المباركة: اليوم عنده نزيف، ويوم آخر ينبغي أن يجري جراحة، وذات يوم منع الحكيم أبو نواس ركوب الخيل وفي يوم آخر يجب أن يتناول المسهل

أو يشرب - في الحرم، خفيةً عن أعين خدم الخلوة - شراباً عسى تركه
ال بواسير مرتاحاً. كان هذا كل ما في الأمر.

- حسناً، وما الذي يستحق القراءة في هذا؟

- أدرى، ولكن هذا نفسه مشكلة إذ لماذا كان أجدادنا لا يفكرون إلا
بالأمعاء المباركة وشفلها، بالمعدة المباركة، وبال بواسير المباركة؟ أو إذا
لم يكن ثمة من خبر عن هذه، إذا لم يجدوا أحداً يقطعون رأسه مثلاً عند
حاشية حديقة منزلكم بالذات، من الأذن إلى الأذن، فلماذا يركبون خيلهم
وينطلقون مع كل أمراء الصيد، رؤساء السكرتارية، رؤساء الفراشين،
رؤساء الخدم، رؤساء مسؤولي البنادق، رؤساء الملالي، رؤساء الحكماء
إلى الجبال والصحاري فيتعلّون الآيات والوعول والدراج والأرانب
وغيرها. ثم عندما يعودون تعين مرهقين لماذا يتصرّف أحدهم الأخرى؟ ثم
لماذا يخلعون على هذا، حسباً، ويقطعون رأس ذاك ويصادرون أمواله؟
وضع الأمير احتجاب ساقاً على ساق. وضع يده اليمنى على حافة
الطاولة وعد أصابعه واحداً واحداً. ثم رفع الدورق ذا القبضة كي يسمع
صوت القمرية. قالت فخر النساء:

- شراب جيد.

وأنس الأمير أن جبينه تضمخ عرقاً مرة أخرى، قال:

- ألم يكن من البطالة؟

- البطالة؟ لا. لأن وجوده المبارك لم يسترح من الصباح حتى المساء
حتى دقique واحدة. على كم مليون من البشر ينبغي أن يتعرف ويعلق على

كل هذه العرائض بخط يده، ويجلد، ويحز رؤوساً، ويصارب ميراث خدم، ويتعامل مع كل أولئك الناس الذين أيديهم على صدورهم^(١٩) والقائلين نعم نعم والمتعلقين وبيتزهم ومع كل ذلك لا يصرف شيئاً. أليس هذا كله عملاً مساومة رجال الدين وأولئك الطالب حاملى الهراءات الذين يسترقون السمع كى يعرفوا متى يهدى "السيد" لم شخص ما؟ إن معرفة كل تلك القررة والعصمة التى يتعج بها الحرم والتى تنتصب لتعرف أيّاً من الخصيّان، أيّاً من الفلمان الصفار عنده شيء من رجولة، وإبقاها راضية، أليس هذا كله عملاً فكر بهذا: رجل واحد وكل هاته الفتیات الأبكار، كل هاته النسوة نوات العيون والحواجب السود، كل هؤلاء الذين طرت شعور رجوهم حديثاً والذين تم إهداهم لصاحب الحضور المنير! ثم مع تلك البواسير العينة التي لا تتنى تترف بما وأبى نواس العين هذا الذى منع الجماع.

نظرت إلى الأمير، كان مقطباً:

- ماذا عتك، ما أنت في هذا السباق؟

- أى سباق؟

ضحك فخر النساء. ضحكت عالياً. انسحب الأخذود على جانبي شفتتها حتى خط ذقنها. ضاع الحال الكائن في طيبة الأخذود الرقيق في الجانب الأيسر.

- إذن فللت بعيد جداً. ثمة مسابقة غريبة بين هذا الجد الكبير وكل أولئك الأجداد كبار الشأن، مسابقة تعدد الزوجات وتلؤن النطع. يريد كل واحد أن يكون له حرم أكثر تلوييناً و...

. (١٩) كتابة عن وقفة الاحترام.

حركت النظارة على عينها، فرت أوراق الكتاب، نظرت من فوق الكتاب إلى الأمير، سقطت إحدى الصفائر فوق ثديها الأيسر..

- أتريد أن أقرأ لك شيئاً؟

شرب الأمير ثمالة كأسه وكسر حبة فستق مستخرجاً لها فوضعه في فمه، كانت فخر النساء لا تزال تتنظر:

- ترید، ها؟

وقرأت:

- «لم تكن حالنا اليوم حسنة جداً، كان المحاسبون قد مسحوا الجبال، عرض الخدم أن نركب، جعلنا الحكيم أبا نواس ملتزم ركبنا، عرض علينا أن دينا شوهد أيضاً، كان الجو بارداً، كنا قد نسينا أن نلبس سردارينا، المصنوعين من الخز، ولكننا قدنا الركب، عرض علمدار خان، أمير الصيد، أن قصاصي الآخر حصرروا الدب،رأينا أن الحكيم أبا نواس يخاف، فتفضلنا بأن يعود إلى المقر، واتجهنا، بالخدم، إلى الجبل، عرض أمير الصيد أن من الأفضل أن نترجل، ذهبنا على الأقدام، كان الطريق صاعداً، تخلف الخدم، مع كل الشيخوخة فإننا نصعد في الجبال خيراً منهم، أولاد المحارق يضيعون خيزنا وملحنا هباء، عندما وصلنا جلسنا وراء الصخر، عرض أقايبك أن الدب لابد وأن يكون في ذلك الجحر، كمنا وراء شجرة اللوز الوحشى، وصل الخدم أيضاً، كانوا شاحبين . ألقى أقايبك متفجرة يدوية في الجحر، كان الجحر يبعد عنا ثلاثة أذرع، خرج الدب، كان كبيراً جداً، لم نكن قد أصبنا ديناً مثله من

قبل، ضربنا، ببندقيتنا الفرنسية نُمرة ١٥ - التي تُقذف الخردقة الرصاصية جيداً - على رأسه فتهاوى. قال الخدم : أحسنت ، كثيراً. قدم أقابيك عفو اللحظة حساناً وبنديبة روسية جائزة . كان صيداً جيداً. تفضلنا بالأمر بأن يسلخوا جلد الدب ويرسلوه إلى فخر السلطنة. عندما عدنا إلى الخيمة عرض علمدار خان أن الدب كان حيّا. أنه جرح أحد الخدم. وأن الصياديَن أصابوا خمسة أياضل وما بين عشرين وثلاثين أربنَا ووعلين. كان أحد الأياضل في الخامسة عشرة. كان مقتدر الملك منطويّاً على نفسه. تفضلنا بالأمر بأن يعطوه البنديبة الروسية جائزة. تناولنا الفداء ظهراً تحت عباد الشمس. كان الحرم قد أقام ضجة. جاء حاجب الدولة وعرض علينا أن السيدات تنازعن حول جلد الدب .

« ساءت حالنا عصراً مرة أخرى. أعطى الحكم أبو نواس مغلياً. ابن المحرق يأكل زادنا وملحنا منذ عشر سنوات وهو لا يعرف شيئاً بعد. بعثت فخر السلطنة خبراً بأنها الليلة أيضاً تنتظر قدومنا المبارك. إنها فتاة طيبة. ولكنها كثيرة الاعتزاز بنفسها. تفضلنا بالإخبار إلا تنتظر. قلنا ذلك من أجل الحرم . أرث ابراهيم بيك سذايا وأداره حول رأسنا. قال لا بد أن عيناً أصابتنا. ضحكتنا كثيراً. هو خادم جيد. »

خلعت فخر النساء نظارتها. أغلقت الكتاب. ولكن أصبعها كان

لا يزال داخل الكتاب:

- ترى كم أنت متأخِّر. لا بد أن الجد الكبير تلك الليلة، مع فتاة جديدة، فتاة جورجية على وجه التحديد ...

قال الأمير: لا يبعث صيده ذاك على فخر كبير، فكل أمرئ يستطيع أن يصيّب من مبعدة نراعين أو ثلاثة، وبخريقة رصاصية أيضاً ...

فضحكت فخر النساء: وماذا عن الفتيات؟

كانت فخرى قد جاعت إلى باب الشرفة، بتينك العينين إياهما وإطار شاد، الصلاة عنه.

سیدت، الغداء جاهز.

فقالت فخر النساء: ووحى، سفاته، الان .

استدارت فخرى . ونظر الأمير إلى كتف فخرى ووسطها وخطوط
كفالها المناسبة . كان شادر الصلاة يلف جسدها بإحكام . قالت
فخرى النساء :

- لا تزال فضري باكرة، أتريد أن أهديها لجنابكم كي تبدأوا جنابكم
أيضاً؟ مع أتنى أعرف بأنكم لن تصيروا شيئاً في هذه المسابقة
مع الأجداد.

قال الامير: فتاة جميلة.

قالت فخر النساء: عينها فقط جميلتان. وهي أيضاً تعرف هذا.
وصببت لنفسها شراباً شربته في جرعة واحدة. تركت الكتاب على
طرف الطاولة والنظارة فوقه. نظر الأمير إلى عيني فخر النساء . كانت
عيناً فخر النساء أيضاً سوداوين . ولكنهما لا ترمشان . كان بقاؤها
قد غسلا.

عنك أضًا جملتان .

صبت فخر النساء للأمير أيضاً:

- ليس فيما ما يستحق الذكر، إن خيلاً كهذه لا تنفع في السباق.
الحسان المهدى يعطى ركواً أفضل .

وضع الأمير يده على يد فخر النساء المشوقة والبيضاء التي كانت فوق الكتاب. قالت فخر النساء :

- أتعرف، لكي تكسب السباق فالطريق إلى ذلك ألا تضيع وقت
هذا على أمثال هذا المدعي والتدليل، يجب ألا تذهب إلى الحواشي.
ألفت ضفيرة شعرها بيدها اليمنى وراء رأسها. نظر الأمير إلى
الخط بين الثديين وإلى انحناء النهدين اللذين كانوا صغيرين ومدورين.
كان قد رفع يده .

- وماذا عن الجد؟

- أهدر وقته. كان في كل يوم ينبعي أن يقطع رأساً أو رأسين، أن
يصيب أيّلين أو علين أو ثلاثة كي يجوز أن يركب ليلاً الخيل المهدأة،
أو العكس . ولكن يجب أن لا يتمسّك بأحد هذه الأمور، يجب عدم الاعتياد
على أحدهما. لكن الجد اعتياد، واعتاد على رؤية الدم بالذات. راق له لون
الدم . حتى أنه أمر بأن يرمسعوا مقبض سيفه بالياقوت، ياقت كثير.
ربما كان خط أو اثنين من الدم يكتيان لكي تتحرك أمعاء المرء، ولكن إن زاد،
إن اعتاد المرء، إن أراد أن يكسب سباقاً لا غير، لا، فهذا غير معken .

رشف الأمير شرابه ونظر إلى وجنتي فخر النساء اللتين توردتتا.
كانت فخر النساء تتلاعب بنظارتها وبغلاف الكتاب الجلدي .

- ولكن على النحو الذى تتفضلين بالقول فإن الجد ، فى الأقل ،
فى إحداها ..

- لا، ولا فى أية واحدة، خسر كلا الأمررين مجاناً، وقد كان
اشتباهه فى هذا أيضاً، إما يجب كسب الإثنين، أو عدم كسب
أى منها، لو أنك قطعت رأس أحدهم فلابد أن تتصرف بنته، ابنة أخيه
أو حتى واحدة من عشيرته كى تموت الفتنة، وعندئذ تكون المقابلة مع
بنت باكية، وتلبس الأسود ولا ت يريد، أو تهرب وحتى ت يريد أن تمسح زفاف
وجهها وتنكس شعرها، أفضل، ترى أن المسألة بهذا اليسر، لأن هذه
البنت نفسها تخشى فى الوقت عينه أن يصرخ المرء: «يا جلاداً» أو يُشد
أخاهما، الذى صار غلام الخلوة حديثاً، إلى الفلة، أتعب الجد نفسه، رغم
كل أولئك الأعداء لم يكن ذا شأن أيضاً، مجرد حاكم بسيط كان بمقدوره
أبيه أن يعزله فى كل لحظة، وعندئذ تسرع، أراد أن يتم بأسرع ما يمكن
العمل، الذى كان أجداده قد فعلوه فى عشرين سنة أو ثلاثين وحتى فى
خمسين سنة، خلال خمس عشرة سنة، دعا الناس مجموعة مجموعة
وأعطاهم سماً، هدم سقف البيت فوق رؤوس كل شيوخ العشيرة، ولأنه
كان قد تعب مساء ولم يعد قادرًا على ركوب خيوله المهدأة، جمحت
الخيول وصارت ترفس، كما أنه كان يندم أيضاً، وكانت نوبات الندم هذه
تعتد، ولابد، أسبوعاً.

نهضت :

- أتريد أن تسمع شيئاً عن ندم الجد؟

قال الأمير: كلا، بالطبع لو سمحت .

- سرعان ما أعثر عليه، ثم أنه جيد لشهيتك. فإن تلك النوبات والإنابات كانت لأمعانه كالمسهل قوية كى يتمكن جنابه من معاودة الأكل. كان الثوب الأسود يبلغ حتى ما فوق قدمها. كانت الضفائر فوق نهديها. عندما دخلت فخر النساء بهو، نظر الأمير إلى قفافها الأبيض وإلى انحناء خطوط الكتفين والخصر والى الحثالة فى قعر الكأس ثم إلى وجه فخر النساء التى كانت عاودت الجلوس على كرسيها الدوار وراحت تفر أوراق كتاب مذكرات الجد. وترمق خفيّة الأمير. لم تكن تضحك .

- إن العثور عليه يحتاج إلى قليل من الشفف، لن تتعب؟

صب الأمير لنفسه شراباً. كان الشراب أحمر أحمر. أترعت الكأس وانسكب الشراب على مشمع الطاولة. وجرى الشراب الأحمر كجدول صغير إلى حافة الطاولة. نظر الأمير إلى القطرات الحمر التى كانت تقطر من حافة الطاولة وعاود الصب وراح ينظر. عندما وضع الكوز الحالى على الطاولة، قالت فخر النساء :

- إذا كنت تزيد فلائقلى كى تجلب المزيد، عندنا خمرة منه.

قال الأمير: كلا، أنا لا أصير شيئاً في هذه المسابقة.

شرب الشراب. كان يتجرع وبعد كل جرعة ينظر إلى الشراب وإلى الحثالة التى ترسبت الآن. قرأت فخر النساء:

- «إن أصفهان اليوم لهى حقاً بلخ القديمة التى كانت تلقب ببقة الإسلام. غير رجل الدين والملا وقارى الروضة^(٢٠) والواعظ..»

(٢٠) اسم عام لكل أشعار التعزية التى تقرأ فى ذكرى استشهاد الإمام الحسين أو أهل بيته وأصحابه .

نظرت إلى الأمير:

- لم يكن هنا، ولكن على أية..

فرت الأوراق. وعرف الأمير الآن أن ذلك لم يكن في هذا الكتاب السميك ، أن الجد كان قد نسي حتى اسم منيرة خاتون . وسمح بأن تبقي منيرة خاتون مجدداً بكل لحمها الدافي والحي ذاك. ورفعت منيرة خاتون خسرو وألصقته بصدرها. كان ثدياها ساخنين. كانت تضحك، قالت:

- يا خسرو خان، تعجبك الحال؟

كان الأمير قد طوق عنق منيرة خاتون بيديه. كان كفأ منيرة خاتون قد عرقا. كانت قد تناولت رصفتي ركبتي الأمير وراحت تحكمها بجسدها، فقالت :

- تحب هذا، يا خسرو خان؟

وتحكت أكثر. كان جسد منيرة خاتون ساخناً وملئ اللحم. شد الأمير حلقة يديه أكثر. كان قد أمسك رأسه إلى الوراء وراح ينظر إلى وجه منيرة خاتون. كان شعر منيرة خاتون قد انتشر على كتفيها. ألصقت نفسها بالجدار. ثم فركت بيدها. اقشعر بدن الأمير وأحس أن جسده صار عارياً . كانت أصابع منيرة خاتون السمينة والمتعرقة لا تزال تفرك. قالت :

- تحب ذلك، تحب ذلك؟

لم يكن الأمير يحب ذلك قط. من الغرفة على انجانب الآخر كان يأتي صوت شيخ الحرم الذي يروي الحسيبة^(٢١) بصوت عالٍ وممطوط. سمع صوت بكاء جدته وأمه والنسوة، اللذئي كن جالسات في الغرفة سباعية الأبواب. كانت الجدة قد قالت: «لا تتحرك من هنا». ولكن خسرو كان قد انطلق. كانت منيرة خاتون جالسة في غرفتها ذات ثلاثة أبواب . كان شادر الصلاة على رأسها. لم يكن ظاهراً إلا عيناه السوداوان، قالت: «أجئت مجدداً كي تلعب يا خسرو خان؟». ألقىت منيرة خاتون شادر حملاتها، وأمسكت بيد خسرو خان وذهبها إلى داخل صوان الملابس . كان الضياء يساقط من الفتحة العلوية. قالت :

- أيعجبك؟

وجلست. كان الأمير جالساً على فخذى منيرة خاتون الكبارتين. كان ساقاه بين كثنتي اللحم هاتين. كانت منيرة خاتون لا تزال تفديك، تقول : - يعجبك؟

كان رأس الأمير بين ثديي منيرة خاتون الساخنين والمضمخين عرقاً. كان الثديان يترججان. منيرة خاتون تلهث. كانت تستلقى على ظهرها. كان الأمير يحس حرارة، قال :

- أريد أن أذهب، لا أريد أن ألعب بعد. لا أحب ذلك، أكره ذلك.

قالت منيرة خاتون: لا تزيد أن تركب فرساً عارياً، ها؟

(٢١) أى واقعة كربلاء .

كان النور قد سقط على عنقها، كانت يدا الأمير على الكتلة الزلقة
لثبي منيرة خاتون المتعرقين. قالت منيرة خاتون :

- قليلاً بعد، قليلاً بعد.

قال الأمير: لا أريد، أشمعنى.

وصرخ: يا جدتي!

نهضت منيرة خاتون، كانت يداها ترتجفان. نظر الأمير إلى ثدييها.
كان شعرها قد تساقط على كتفيها.

- انتظر إذن كي أكسوك بملابسك .

كانت يداها ترتجفان. قالت الجدة :

- أين كنت؟

جلس الأمير، كانت الأم قد قدمت رأسها إلى أمام، كان صوت
شيخ الحرم يصل .

- كنت ألعب مع منيرة خاتون، كنا نلعب ركوب الخيل.

قالت الجدة: أيتها المؤذنة، ها أنت مرة أخرى ...

قالت العمة الكبرى: ماذا جرى، يا فروغ السلطان؟

- لا شيء.

أمسكت العمة الصغرى بيده خسرو: تعال اجلس جنبي، يا خسرو.
وجرته جدته أيضاً: لا، لا تذهب إلى أي مكان يا خسرو.

كان صوت شيخ الحرم مرتفعاً وممتدأ. كان رأس أنبوبة الأرجيلة تحت شفة الجدة. كانت النسوة يجلسن حول جدار الغرفة من الداخل. سحبت العممة الصغرى مرة أخرى يد خسرو. وشد الأمير أيضاً. نهضت العممة الكبرى وذهبت. نهضت النساء. لم تبق جالسة غير أمه وجدها.

قالت الجدة هامسة :

- ذهبت أخيراً.

ونفخت الدخان. تقدمت العممة الصغرى. ذهب الأمير عند الجدة.

قالت العممة الصغرى:

- يا فروع السلطان، أذهب مرة أخرى عند منيرة خاتون؟

كانت النسوة بي يكن. انحنت الجدة، وكانت العممة الصغرى منحنية.

لم يكن الأمير يسمع غير صوت شيخ الحرم ولا يرى غير ظله الذي سقط على الستارة. وكان ظل غليونه مشهوداً أيضاً. انحنت المربية قمر، قالت:

- بأمر صاحب السمو...

قالت الجدة: ما إن ينتهي انتقال^(٢٢) الشيف، على عيني.

جلست المربية قمر ورفعت الأرجيلة. كانت أجفانها بيضاء. كانت

بعض خصلات شعرها البيضاء ظاهرة من تحت عصابة رأسها. سمع الأمير صوت الجد العالى ذا العقد:

- يا فروع السلطان!

كانت فخر النساء لا تزال تقر الورق. صاح الأمير:

(٢٢) المقصود انتقال القارئ من سرد المقدمات إلى (بيت القصيد)؛ وصف الواقع

وكيفية مقتل كل واحد من صحب الحسين وأفراد عائلته .

- يأتى صوت صراخها إلى داخل البستان، صدقيني، حتى إلى بين الأشجار وعند الباب. لابد أنهم كانوا يسمونها. كان المعلم يقول ذلك.

ولكن فخر النساء لم تكن غير تخطيط بلا لون. مثل أولئك النسوة اللائى رسموهن فى المنمنمات على الجدران التى تحبّط الصالحة، واقفات تحت الصفصاف أو جالسات عند ساقية الماء منتشرات الشعر وفى أيديهن الكؤوس. كان فى يد فخر النساء كتاب، ذلك الكتاب الكبير ذو الغلاف الجلدى عينه. وقرأت :

- « والله، لم يكن تقصيري. كان أبي قد أصبر أمراً، ولكى أظهر ذليل من تهمة التعاون مع شيخ العشيرة فعلت ما كان ينبغي إلا فعله. كان الحكم حكم أبي وحكم أولى الأمر منكم. كم مرة قلت للأضراب فأريخ نفسي. ولكننى رأيت أنه فى الشرع المقدس نهى عن قتل النفس، متورط فى الدنيا وكذلك فى الآخرة. الله والرسول شاهدان أننى قلت للسيد حبيب ذات يوم: « أسرج الجواب ». وذهبنا معاً إلى الصحراء. أعطيته المسدس بيده وتعلقت بآذيه، قلت: « أستحلفك بجدتك الزهراء^(٢٣) أرحنى ». بكى السيد حبيب، وقال: « ما هذا الكلام؟ » قلت: « غداً بم أجيب جدك^(٢٤)؟ كيف أنظر إلى وجه جدك؟ أنا راضٍ بجزاء الدنيا، أفعل أنت هذا فلعل الله يغفر لي تجاوزى ». فقال: « لقد كان الحاج بن يوسف، مع كل ذلك القتل وتلك المجازر، يرجو كرم الله ». قبل يدى وركبتي، وأراد أن ينزل إلى أدنى أيضاً فلم أسمع له. قبلت وجهه.

(٢٣) هي فاطمة ، ابنة النبي (صلى الله عليه وسلم) .

(٢٤) يعني : النبي (صلى الله عليه وسلم) .

في الطريق أصبنا أربين بخرادق الرصاص. بين السيد أنه قرأ، لا أدرى أين، أن الحاج نفع سائلًا بضعة دراهم وقال له: «ادع» فكان السائل يدعو كل ليلة. عندما يموت الحاج، يزور السائل في نومه ويقول: «لم لا تدع؟» فيقول السائل: «تصورت أن أمرك انتهى وليس في نعائني فائدتك» فيقول الحاج: «لخاطرك أنت بالذات شطبوا على كثير من آثامي بقلم المغفرة». فيسائل السائل: «أئمة أمل» فيجيبه: «نعم، حتماً، واصل الدعاء» كانت فخر النساء جالسة، في المكان ذاته، في كرسيها هي، والكتاب بيدها. كانت النظارة على عينيها. قال الأمير:

- قلت: «أريد أن أراها، أيها السيد المربى». فقال: «أنت يجب أن تقرأ درسك». قلت: «أريد». فقال: «إن لم تبك، حسناً». قلت: «لن أبكي» فقال: «عندما يذهب الملا حسين، على عيني. ولكن لحقيقة واحدة، حسناً؟» قلت: «حسناً». كانت الغرفة ثلاثة الأبواب جرداً. كانوا قد لفوا السجادة إلى زاوية الغرفة. كان صوت أنينها يأتي، ضعيفاً ومتصللاً. قال السيد المربى: «أنت لا تخاف؟» قلت: «لا» كان قد أمسك بيدي. كان مرتفعاً. الصوت يأتي من وراء باب الصوان. فتح السيد المربى مزلاج الباب ورأيت مجرد عمود نور وبياض وجه منيرة خاتون. كانت أجنانها مضجمة. قلت: «يا سيدي المربى، لماذا حلقوا رأسها؟» فقال: «أنظرت إليها؟» كان قميصها معزقاً. كان ثدياتها الكبيران ظاهرين. كانوا قد شدوا يديها بمسماري اصطبغ. كان قدماها في ماسكة القدمين. تئن. قال السيد المربى: «انظر إليها، فنذهب» قالها بصوت عال. انفتحت الأجنان والتفت رأس منيرة خاتون. تحركت يداتها. سقط النور على مرفقها العاري. قالت: «أنت، يا خسرو خان؟ أتائى

للعب؟» وضحك. كان ثدياها يهتزان وهي تضحك. قلت: «إنني أخاف، أيها السيد المريء». تناول السيد المريء يدي. صاحت منيرة خاتون: «أتاتي للاعب، يا خسرو خان؟ أتريد أن تركب فرساً عارية، ها؟ تركب منيرة خاتون، امرأة صاحب السمو العقدية^(٢٥)، ها؟ تريده؟» وضحك. أغلق السيد المريء باب الصوان. كانت لا تزال تضحك، عالياً. قال السيد المريء: «كنت قلت لك، لقد جئت» فقلت: «لماذا؟» قال: «كوهما، أمسكوا كلتا يديها وكوهما بالحديد المحمّر».

كان رئيس الأمير احتجاب خفيضاً. على عمود ذراعيه: لماذا أحرقت تصوير جدى الأكبر. كان جدى قد كتب: «الميرزا^(٢٦)» حبيب سيد صحيح النسب. نصحتنا كثيراً. تحدث عن بحر الرحمة الإلهية وعن أن المؤمن معنور» لا بد أن منيرة خاتون كانت تصرخ وتقول «ارحمنى، يا أمير، فقد غلطت» . كان الجد واقفاً تحت الصفاصاف . أو تحت شجرة نسرىن الكلاب^(٢٧)؟ وينظر. كان قد أمر الخدم أن يعطوا السيد حبيب شالاً وأربعين أشرفى^(٢٨). كان كتب: «ليطل الله عمره. السيد حبيب إنسان طيب» .

وسأل: يا سيدة فخر النساء، ماذا عن أبي؟

- كان يقدر أبيك أن يكسب المسابقة. خلال ساعة أو اثنتين، أسقط اعتبار أعمال عدة سنوات لأجدادنا النبلاء . ليس مزاحاً، تمكّن

(٢٥) زوجة بعده زواج اعتيادي (دامن).

(٢٦) ميرزا في الأصل تعنى ابن الأمير أو الأمير . تطور استعمالها لتهذى معنى المتعلم ، القائم بوظيفة إدارية ، إلـ (أفندي) .

Sweetbrier (٢٧)

(٢٨) وحدة نقد ملغاة ، كانت تعادل عشرة ريالات من الريال الحالى .

بأمر بسيط واحد أن يسلم شارعاً ملؤهاً أدميين إلى عجلات وتروس
البابايات والذراعات. أنت نفسك كنت تتقول. ولكن المؤسف أنه نكم سريعاً.
وكان الأمير يرى أن فخر النساء، مثل ذلك التصوير، على ذلك البعد
والجهولية. ورأى الذرور فوق شعرها الأسود. وسعل. عندما هزت
السعلات كتفيه، عندما وجد أنه لم يعد قادرًا.. فهم أنه ينبغي أن يبدأ،
أنه يجب مهما كلف الأمر... وقالت بصوت عالٍ :

- من أين؟

وسعل وأعدت فخرى المائدة وذهبت إلى غرفتها، أقفلت الباب
وجلست أمام المرأة. مشطت شعرها وجمعته معاً وأسدلته على كتفها
اليمنى. وجعلت بعض الخصلات على جبينها أيضًا ونظرت إلى المرأة.
نظرت إلى وجنتيها الحمراوين السمينتين ومرة أخرى مشطت شعرها
وأسبلته على كتفها اليسرى. نهضت، وقفـت مولية ظهرها للمرأة وحاولـت
أن ترى قفـاهـاـ. ولكن عندما أعادـت إـسـدـالـ شـعـرـهاـ خـلـفـ رـأـسـهاـ، رـفـعـتـ
المرأـةـ الـيـدـوـيـةـ وـأـمـسـكـتـهاـ وـرـاءـ رـأـسـهاـ وـوـقـفتـ أـمـامـ المـرـأـةـ. أـسـبـلـتـ خـصـلـاتـ
الـشـعـرـ عـلـىـ كـتـفـهاـ الـيـمـنـىـ. كـانـ قـفـاهـاـ قـدـ صـارـ أـبـيـضـ نـصـرـاـ. كـانـ لـهـاـ
الـخـطـانـ الرـفـيـعـانـ الـلـذـانـ فـىـ عـنـقـ سـيـدـتـهاـ بـالـذـاتـ. رـأـتـ الشـعـرـ الـأـبـيـضـ
الـضـائـعـ بـيـنـ خـصـلـاتـ الـشـعـرـ الـأـسـوـدـ. وـضـعـتـ يـدـهـاـ، أـخـطـأـتـ أـوـلـاـ ثـمـ
أـمـسـكـتـ قـبـضةـ شـعـرـ فـقـلـعـتـ الشـعـرـ الـأـبـيـضـ.

سعل الأمير. وسحبـتـ فـخـرـيـ الجـرـارـ، خـلـطـتـ وـسـائـلـ زـوـاقـ سـيـدـتـهاـ،
أـخـذـتـ مـرـأـةـ سـيـدـتـهاـ الصـغـيرـةـ، وـفـتـحـتـهاـ. فـىـ أـحـدـ جـانـبـيـهاـ، كـانـ سـيـدـتـهاـ
وـالـأـمـيـرـ اـحـتـجـابـ يـقـفـانـ جـنـبـاـ إـلـىـ جـنـبـ. نـظـفـتـ الزـجاـجـةـ فـوـقـ التـصـوـيرـ

ورأت حال سيدتها وحتى الغضنفين الرقيقين جنب الشفتين ثم العينين اللتين تبدوان كدرتين وراء زجاج النظارة: عندما أردت أن ألبس نظارة أية ضجة أقام! قال: «قلت صيرى فخر النساء، لم أقل قلدى كل...» كان وجه الأمير قد صار مثل التوت الأسود أسود. خلع النظارة وألقى بها فوق وسائل زواق السيدة .

مدت يدها إلى الجرار. كانت النظارة في مكانها المعهود يومياً. وضعتها على عينها. نظرت فخرى إلى المرأة، كانت عيناهما لا تزالان صافيتين: لم تكن فخر النساء تطرف قط، توالى فر أوراق الكتب من أول الليل حتى منتصف الليل. وفي النهارات أيضاً. حتى عندما كانت تجلس أمام المرأة وكانت أمشط شعرها. كانت تقول: «عزيزتي فخرى، أسدلى شعري على كتفى، ليس هكذا». وتقرأ مرة أخرى. اللباس وحده يتحرك. قلت: «سيدي العزيزة، ما المكتوب هنا؟» قالت: «أتريدين أن أقرأ لك؟» قلت: «نعم». قرأت قصة قلعة الرجم. قلت: «لكن هذا، يا سيدي، كتب». قالت: «أدرى، ولكنني أريد أن أرى كيف كان الأجداد النبلاء ينامون على أمثال هذه الأمور».

نظفت التصوير بتنورة فخرى. كانت فخر النساء تضحك. عبس الأمير احتجاب: كانت هذه دائمًا على هذا النحو ولكن كيف كانت تضحك تلك الليلة! أى قلب لها! وأمام الرجل أيضًا. كم خفت .

أمسكت بالتصوير أمام المرأة، ونظرت إلى نفسها أيضًا: لو أن وجهي صار أنحف قليلاً. لو أن الأمير يسمع بأن ألبس هذه النظارة .

يقول: «ما تزال عيناك لم تضعفنا بعد». كان يضع القلم بين أصابعه ويضغط. كان يقول: «أنا معلمك المنزلي»، لماذا لم ينجب؟ مع فخر النساء أيضاً لم ينجب .

قدمت وجهها إلى أمام ونظرت إلى عنق التصوير وعنقها: «صار عنقك مثل عنق فخر النساء»، فقط لو أن قليلاً.. ليس بيدي. يلتفت دائناً لأن يضع وجهه بين ثديي الواحدة. وبسرعة أيضاً يستولى عليه النوم. مهما قلت: «يا عزيزى الأمير، اختفت، يكفى بعد»، فهل ينفع معه؟ يقول: «إن جدى ينام كل ليلة مع فتاة بكر». يقول: «لم أعد رجالاً، وإنما اضطررت إلى الاكتفاء بك»، غادرته رجولته، ولكنها في كل ليلة يردد. ومرة أخرى يضع رأسه بين ثديي ويفلبه النوم. أقول: «أيها الأمير العزيز، أنا أيضاً أريد أن أنام». وفوق ذلك أنا إنسانة واحدة وهذا الشغل كله. لو أردت أن أستيقظ باكراً في الصباح، لأؤدي الأعمال، يقول: «فخر النساء كانت تنام إلى ما قبل الظهر». طيب، أنا أيضاً أريد أن أنام. ولكن من سيقوم بكل هذه الأعمال إذن؟ ما الذي جرى فصار أمير ما مستعداً أن...؟ مهما قلت: «أيها الأمير، اعقد علىّ، لو أتنى حبت فائى تراب سأحثو على رأسى؟» يقول: «يا فخر النساء، هذا الكلام قبيح منك». لكننى لست فخر النساء. أنا فخرى. شكرنا الله أنه لا ينجب. وإنما كنت سأفعل مع بزر حرام؟ إن هؤلاء لا يفهمون أمثال هذه الأمور.

نظرت إلى التصوير وإلى وجهها ووضعت الحال دقيقاً على الزاوية اليسرى من فمها: قال الأمير: «ضعى الحال على زاوية شفتك اليسرى، لا على خطفك الريفي ذاك». وضرب .

سودت الحال. ضحكت كالتصوير ورأيت أن الفضنة في جانب فمها عبرت من فوق الحال . فيما كانت تنظر إلى التصوير مشطت شعرها. انحنى: لو أنه رأى شعرة بيضاء واحدة..

لم تر حتى شعرة واحدة بيضاء. تركت التصوير جنب المرأة الكبيرة. فتحت مريلتها ووضعتها في جيب ثوبها. كانت عصابة رأسها في جيب المزيلة : لو أن خصرى نحف قليلاً.. مهما فعلت لا ينحف. هاتان العينان .. ليت خالي لا ينمسح قط. عندما كانت سيدتي تقرأ في الكتاب، كانت تضحك بصوت عالٍ. قال الأمير: «اقرأى»، قلت: «أنا أمية». قال: «أعلمك».

نهضت. ذهبت إلى رف الملابس. مسدت الثياب. كانت كل الثياب من ثل أبيض: لم لا يشتري لي نوعاً آخر من الملابس؟ لقد زهقت روحي . رفعت أحد الثياب، ذهبت إلى أمام المرأة، أمسكته أمام صدرها ونظرت إلى المرأة. انحنى، نظرت إلى التصوير أيضاً: كلها ياقاتها مدورة النتوءات، مثل لباس سيدتي، ذاك الذي.. كان الدم يتسرّب من جانب شفتها إلى الملاعة ويزداد اتساعاً. قلت: «يا عزيزى الأمير، ليس حسناً أمام الميت». أدار الأمير وجهه وغض خدي. عدت مرة أخرى. كان جسد سيدتي يرتعش تحت الملاعة. كم كانت نحيلة! صرختُ. قال الأمير: «نعم، هكذا حسن»، يا لقلبه، الأمير!

تركث ثوب التل الأبيض على مقبض الكرسي وخلعت قميصها هي. كان مرافقها العاري أبيض سميناً. انحنى وثنت ثوبها ومضت فوضعته

فى الحقيبة الحديد فى زاوية الغرفة، أغلقت مزلاجها: من الصباح حتى
المساء يجب أن أوالى الكنس، لقد تعبت.

وقفت أمام المرأة ونظرت إلى مرافقها وإلى صدرها وإلى الخط بين
ثدييها وإلى الحال فى زاوية فمها وإلى بيبر الشعر الأسود المنسدل على
الكتفين: دائمًا يضع رأسه على صدرى . مع فخر النساء لم يفعل مثل
هذه الأفعال قط. لماذا قال: هكذا حسن، اصرخى، اصرخى!

لبست الثوب وسوت النظارة على عينيها. تقولب الثوب الآن على
بدنها. كان رأسا الكتفين فقط ضيقين ويضغطان على الثديين. سوت
ياقته وألقت شعرها على كتفها وثديها الأيسرين: ماذا كانت سيدتي
تفعل بحيث كان شعرها دائمًا فوق ثديها الأيسر؟ تجلس وتقرأ. قلت:
«أيها الأمير، أنا أيضًا أريد أن أقرأ الكتب». قال: «حسناً، أصير معلمك
المنزلي»، فى تلك الكتب كان الكلام دائمًا عن الجد الأكبر أو عن
لا أدريهم .

أمسكت نطاق وسطها بيدها: هذا الخصر اللعين!

عقدت نطاق خصرها وجلست على الكرسى. ثنت عنقها. رفعت
المرأة الصغيرة ونظرت إلى نفسها فى المرأة ورمقت، خلسة، سيدتها،
التي كانت تقف الآن مائلة جنب الأمير، راحت تتحقق. سوت بيديها
شعرها، ورأت أن شعرها لا يزال أشعث فمشطته: على ذلك السرير
يمكن للمرء أن ينام مرتاحاً، يمتد ويمكّنه أن يفرد ساقيه على طولهما
ويحدق إلى السقف. ينظر إلى رسوم الأزهار والنباتات على شفل

الجس، إلى ذلك الملك الصغير الذي خرج من زهرة البطونيا^(٢٩)، إلى تلك المرايا الدقيقة. لماذا انكسر أحد جناحيه؟

نظرت إلى حالها: كانت السيدة تقول: «أنا لا أعتقد، هذا الكلام كلام الناس العاديين، كلام أولئك الذين ينبغي أن ينمازعوا من الصباح حتى المساء وليس لهم في المساء حتى مكان للنوم». عسى الله يجعل الأمير ينهض في يأتي لنذهب إلى المائدة. فالطعام يبرد. الأمير على ذاك الجانب من المائدة وأنا على هذا الجانب. لماذا لا ينجب؟ أتمنى أن يكون لي عشرة أطفال، أولاد وبنات، جميلون جميعاً، مثل..».

كان عنقها قد بقى معوجاً. كان شعرها السبط يلمع في المرأة: ومنديل الرأس المثلث جيد لأمثال هذه الأماكن، إذ لا يتجمع غبار على رأس الإنسانة، ولا.. قال الأمير: «فخري هي التي يجب أن تتنازع، لا أنت». إيه، حسن، إن نصيب البعض هذا وحده. لماذا أحرق الكتب؟

كانت عينها قد تقدرتا فلم تعد تقدر أن تميز الشعرات عن بعضها. ولكنها كانت ترى الخط بين ثدييها والخال: لم لا ينهض؟ ما عليه اليوم بعد؟ عسى ألا..»

عندما ضحكت، رأت أن الغضون حول شفتيها اتسعت. مهما نظرت لن ترى الحال وسط الغضون جنب فمها. كانت خطوط وجهها ترتعش. كان الشعر كتلة مناسبة سوداء تمتد إلى ما فوق ثديها الأيسر. لم تكن عينها ترمش وراء عدسستي النظارة السميكتين وكان بمقدورها

الآن أن ترى هناك، في المرأة، بين تلك الخطوط المرتعشة والكبيرة والجارية، سيدتها، فخر النساء: ليت يصير لي أطفال. مهما قلت: «إذن، فلا أقل، هات خادماً كي تقوم بهذه الأعمال». يقول: «فخري قادرة عليها». قلت: «لوحدها؟!» قال: « تستطيع، أنتى أنها تستطيع ». مسند على شعرى، وقال: «يا فخر النساء»، لا فخر عندك ولا غرور». كان عنقها طويلاً وثدياتها يشغلان حجماً أكبر: لو أنه اتخذ خادماً، واحدة تغسل كل هذه الد... أنا بمفردي لا ..

أغلقت المرأة الصغيرة ووضعتها في الجرار وأغلقت الجرار. وضعت يديها على مقبض الكرسي ودفعت ظهرها إلى وراء: ليته ينزل . كيف يمكن للخادم أن تبقى في هذا البيت، كل هذا العمل وهذا الإنسان الباحث عن الذرائع؟ ثم لو أن الأمير كمن، في المطبخ أو وراء الباب، وعندما تريد فخرى أن تمر حاملة الصينية يقرص كفلها ويضع يده داخل صدر بنت الناس..؟

وقالت بصوت عالٍ ولكن أيها الأمير، هذه الأعمال قبيحة، حركات أطفال وفي زمن الشيخوخة؟!

قال الأمير: كان لجدى الكبير مائة امرأة متصرفه وعقدية، مائة، فوق هذا، كل ليلة واحدة. فكرى في الأمر، يا فخر النساء، ما كان يترك حتى المطربات. والآن، أنا معك أنت وحدك...».

سعل الأمير وسمعت زجاج النوافذ الملون يهتز.

قالت فخر النساء: طيب وما ربط هذا بالآن، ومع خادم منزلي أيضًا؟
أنت أميراً وهى خادمة! لو فهم الناس، لو علم أولاد العم غير اللع وبنات
الخالة اللع!

قال الأمير: إلى جهنم!

قال الأمير: أتدرين، يا فخر النساء، كان جدى الأكبر قد أصدر
أمرًا بأن يكوا منيرة خاتون. وضعوا حديدًا محمرًا على ذلك الموقع إيه
الذى...

فقالت فخرى: وما أدرانى؟ في هذه الكتب لم يكتبوا هذه الأشياء،
ومعرفتى بالقراءة أيضًا..

قال الأمير: ما أزال أسمع صوت صراخها. بحديد محمر، يا فخر
النساء! لا بد أن الجد قال: «سيحسب الآخرون الآن حساباتهم».

وسرع، كانت فخرى لا تزال جالسة أمام المرأة: في تلك الأيام
لم تكن تترك الأمر يظهر على وجهها. كانت تنظر إلى من وراء زجاج
نظارتها فقط.

اختلست النظر. كانت سيدتها جالسة في المرأة بتينك العينين
التي تحدقان إلى المرء من زاوية النظارة. نظرت المرأة بمندياتها
الأبيض. تداخلت خطوط جسدها: قلت: «أيها الأمير، ذات يوم عندما
صعدت إلى فوق، كانت صينية الشاي بيدي، قالت السيدة..» فقال
الأمير: «خادمك». قلت: «قالت يا فخرى، أنت أيضًا تلتذين؟ قلت: كلا

يا سيدتي . قالت: لماذا تضحكين مقهقهة إذن؟ قلت: لأنه يضع يده في صدرى . قالت: أقفت معه حتى الآن؟ فقلت: لا يا سيدتي» .

نظر في المرأة، كانت عيناه محققتين ولا ترمشان. رأى خطى غضون جبينها الرقيقين. قال :

- هذا قبيح، يا فخرى، إذن ففي الأقل..

قالها بصوت عال. مد يده وأراد أن يرفع القدر عن الصينية الفضة: لا تقصير عندي . لو كان الأمير يريد، لو أن السيدة تكتفى بالجلوس.. لماذا كانت نحيلة إلى هذا الحد؟ كان مرافقها نحيفين مثل عودين. كانوا أبيضين .

بقيت يده في الهواء. كانت صينية الشاي في يد فخرى الواقفة في ذلك الجانب، في الظلمة، عاقدة مريلتها واضعة المنديل المثلث على رأسها. مد يده وأخذ القرطين فلعلهما في أذنيها. برق القرطان. أدارت رأسها. اختلست النظر إلى قرط أذنها اليسرى: يليق على أيضًا!

وضع أصابعه في بيد شعرها وأسبله على الخط بين الثديين. رفع العقد أيضًا، كان ثقيلاً ليته اتخذ واحدة تقوم بهذه... فأنا لا أستطيع. كم ينبغي أن أغتنس! كم كان بدن السيدة أبيض! كانت جلداً وعظماً. كان نهادها صغيرين وأبيضين ومدورين. بطنها ...

كان العقد يبلغ الخط بين نهادها. كان على الشعر. لمست حباته بأصابعها واحدة واحدة: لم تكن السيدة تحب هذه قط. كانت عندها كل

تلك المجوهرات، جرار صدفي مملوء، تجلس أمام المرأة وتضعها في عنقها واحدة فواحدة. كانت تقول: «عزيزتي فخرى، انظرى أهلى حلوة على؟».

قالت بصوت مرتفع: «على أيضاً حلوة، وكم هي جيدة».

كانت تقول: «عزيزتي فخرى، الأفضل أن تذهبى أنت فتナمى، أنا أبقي منتظرة، أظنه تخلف مرة أخرى عند إحدى موائد القمار تلك». قلت: «سيتى، أنا أيضاً أبقي منتظرة».

اختلست النظر، محدقة، إلى فضاء الطرف الآخر وإلى المستوقد الذي كان نصفه قد انطبع في المرأة، وقالت:

- أبقي مستيقظة حتى الصباح إلى أن يأتي الـ...

رفعت الأساور ولبستها واحداً بعد واحد: لا تزال ضيقة. هذه الأصابع! كانت أصابع السيدة نحيلة وببيضاء، أظفارها.. لكن عندما تكون الواحدة، من الصباح حتى المساء، مع كل هذه الأواني...

قالت: ليته اتخذ واحدة.

نظرت إلى برق الأسوار في المرأة والفضاء جنب المستوقد حيث كانت فخرى ما تزال واقفة، وراء سيدتها: كان الأمير واقفاً في الظلمة، كان يمسد بيديه الباردتين على جسد فخرى العاري. ذهبت إليه بطريقاً. وضع يدي على كتفه، قلت: «أيها الأمير، هذا قبيح، إذن ففى الأقل عقد عليها مثل جدك الأكبر» لم يلتفت الأمير، كان يقبل عنق فخرى. طوق

خمرى، خصر فخرى، بيده، وقال: «أنا لا يصير لى أطفال، يا فخر النساء». قلت: «فهاتها، لا أقلّ، إذن إلى السرير، لا يصير هنا» قال الأمير: «حسناً، انتظرى أنت قليلاً فقط». خرجت من الغرفة . إنما لا يزالان ملتفين على بعض، فى تلك الزاوية .

وقالت: وما شأنى أنا..

ونظرت محدقة. أقامت عنقها: شفتا السيدة، عندما لا تصبغهما بالأحمر، كم كانتا بياضتين! وكانت أسنانها بيضاء أيضاً. صغيرة . تناولت صبغ الشفة الزهرى ومسحته على شفتيها: يجب أن أبقى منتظرة، حتى لو لم يأت إلى الصباح. ولم يكن أحرق الكتب لأمكنتى مثل سيدتى .. قال الأمير: «يا فخر النساء»، لقد تقدمت جيداً. يمكنك الآن أن تقرأى...» عندما كانت سيدتى تتعب كانت تذهب إلى النافذة، تضع مرافقها على حافة النافذة وتنتظر إلى خارج. كان الخارج أظلم. كانت رائحة الصنوبر تأتى من وسط البستان، ورائحة زهر الياس .

وقالت بصوت مرتفع: اذهبى أنت فنامي، يا عزيزتى فخرى .

كانت فخرى فى الطرف الآخر، وراءها، واقفة. كانت قد وضعت يديها فى جيب مريلتها وراحت تنظر إلى كتفى سيدتها، فخر النساء، التحيفتين: لماذا كانت تنظر إلى على ذلك النحو فى الحمام؟ إلى يدى، إلى رجلى؟ تحدق إلى نهدى الصغيرين الأبيضين والمدورين. عندما تمشط شعرى، كانت تقول: «سيدتى، كم شعرك سبط !» وكتت أقول : « يا فخرى، انتبهى كى لا تقتلكى شعري ». .

مدت يدها على شعرها، كان ناعماً. نهضت . لم يعد الآن يائى : لا رائحة الصنوبر ولا رائحة زهر الياس: مجرد علف وحشى. لماذا باع ذلك البيت؟ قال لعلى حيدر البستانى، أبى: «ولَّ ما عدت أريد أن أنظر إلى الزهور الـ...». يائى متأخراً ليلاً. علىَّ أنا أن أبقى منتظرة حتى يعود الأمير سكران. يزمر بالبوق بلا انقطاع. كان حيدر على البستانى وزوجته نائمين. أذهب فأفتح الباب. يُخرج الأمير رأسه من زجاجة السيارة، ويقول: «يا عزيزتي فخر النساء» لا تزالين صاحبة؟ لا بد أثك كنت تقرأين كتاباً. وأنا في المقابل خسرت ذلك السهم من أرض..» ثم يضحك ويقول: «ها! أنت، يا فخرى؟ أين سيدتك إذن؟» لماذا يناديني فخر النساء؟ كانت فخر النساء جالسة إلى جانب النافذة تشم رائحة الصنوبر والأس. عندما يتراجل الأمير، تمسكه من تحت إبطه ويوضع الأمير رأسه على كتف فخرى. يصعدان السلام معاً. يلقى الأمير يده حول خصري، حول خصر فخرى. يا للرائحة التي تنبئ من فمه! كان رأسه ساخناً. كنت أمسح جبينه، الذي كان مضمخاً عرقاً. كان مراد يمسك، من فوق فسحة السلام، تحت كتف الأمير ويقوده إلى أعلى. يسقط ظلامهما على السلام. يوشك الأمير أن يسقط. كان مراد يقول: «أيها الأمير، هذه الخيل.. هذه العربات..» وكان الأمير يقول: «إلى جهنم، إلى جهنم». ويقول الأمير: «يا مراد خان، من مات حديثاً، ها؟» ليت ممكناً أن أنظر كالسابق من النوافذ وأشم رائحة الصنوبر والأس. كل ما هناك أصبحا زهر إبرة الراعى^(٢٠) وشجرة صفصف واحد، وفي هذا المنزل بهذه

الحيطان العالية، لماذا باع الأمير ذلك المنزل؟ وحيدة لا يمكن، وسرّ حيدر على البستانى أيضاً، مع زوجته وطفليه. قال: «لا يحتاج هذا البيت إلى بستانى». قال حيدر على: «أيها الأمير، لقد خدمت هذه العائلة أربعين سنة. أين يمكننى أن أذهب الآن؟» قال الأمير: «إلى المقبرة». قال حيدر على: «فماذا عن ابنتى إذن، أيها الأمير؟» قال الأمير: «ماتت فخرى، يا حيدر على. فخرى ماتت». امتلأت الحديقة الآن بالعلف الوحشى. ارتفع إلى وسط الصفصاف، واحسراه على ساق ورد قرنفل واحد! كله زهر صغير وأصفر. لو لم تكن زنبقنا الماء^(٣١) وتلك العرشة الملتقة حول جذع الصفصافة..؟ حتى ماء الحوض لا يدعنى أجده. يقول: «أريد أن يكون ماءه كما هو أخضر». تموت واحدة واحدة. ويصطاد الغراب واحدة يومياً أيضاً. عندما أرى بطون السمك البيضاء مطروحة على الماء وبقية الأسماك تحيط بها يستولى على البكاء. أنهض مبكرة صباحاً كي أجدد ماء الحوض بنفسى. كل ذلك الماء. وصارت سداداته مُحكمة. امرأة وحدها، بلا مساعد! رشت الماء دلواً دلواً في الحديقة. نقلت السمك إلى حوض. يا لكثره السمك! صاح الأمير، من النافذة: «أقلم أقل، لا أريد..» ومرة أخرى شغل المحرك فملاً الحوض. عندما يخرج يقفل الباب. فليأت بواحدة إذن لتكون لي، فى الأقل، معاشرة. لو أن فخرى كانت موجودة...

نهض. أغلق باب غرفته ورقى السلام إلى أعلى. لماذا كان يقول: «يا مراد خان، من مات مؤخرأ؟» فلم يعد عند الأمير أحد. مجرد بضع

. (٣١) التيلوفر.

أبناء عمومة وبينات حالة لحا وغير لح. كما أنه لا يراهم من طلوع السنة حتى انتهائها. لم يحدث قط أن خرج بي ذات يوم. يا للضحكه التي يضحكها! احترق حلقومي. كان مرأً. قلت: «أيها الأمير، أنا لا أشرب». قال: «يا فخر النساء» يجب أن تشربى». وضرب. دائمًا يضرب بظاهر الكف، وفي وجهه أيضًا، هذا الجانب. في البدء سخن جبيني ثم يدابي. قال الأمير: «اشربى أيضًا، يا فخر النساء». قلت: «لا أريد». نظر إلى خفت. لماذا صار نحيلًا هكذا؟ كالمغزل. شربت. مرة أخرى شبّت النار في حلقومي. كان رأس الأمير يهتز، ذهب إلى ذلك الجانب من المنضدة وجلس على كرسيه، قال: «يجب أن تشربى جرعة فجرعة». وشرب هو أيضًا وشربت أنا أيضًا. كم كان الأمير بعيداً! نزلت الثريات الثلاث جميعًا إلى أسفل، كانت تهتز قال: «يا فخر النساء»، قلت اشربى» كنت أريد وامتدت يدي نحو الكأس ذات الساق الطويلة التي كانت ما تزال نصف ملائى . إن الإنسان ليسخن. كان الأمير بعيداً. كنت أراه من وراء ماء الحوض. كانت المياه تتماوج .

أوكاً يده على الحاجز وصعد: لكم يضحك! يُكثت. قال: «يا فخر النساء»، جيد لك، ابكي. ولكن اشربى بقيته أيضًا». قلت: «لا أريد، رأسي»، فصرخ: «يجب أن تشربى». قلت: «لا، لا أشرب». نهض. كان قصيراً. كان يلوح بيده. اقترب وجهه واقترب. كانت مياه الحوض متموجة. أمسك برأسى وصب فى فمى فنزل وانسكب على النهددين وفوق ثوبى. قلت: «يا عزيزى الأمير، ثوبى!» قال: «إلى جهنم، واحدًا آخر..» قلت: «لا أريد أن ألبس هذه الثياب . في الأقل اشتغل ثوبًا آخر، من

نوع آخر». فقال: «يمكنك أن تلبسي ثوب فخرى وتشدّي عصابتها على رأسك». قلت: «لا، لا أستطيع، لا طاقة ليدي على كل هذا العمل».

كان الأمير جالساً في كرسى تَمَدِّده. كان قد وضع رأسه بين يديه. كان يعرف أن فخر النساء تقف الآن تتنحّت وراء الباب فسُعل. عندما انفتح الباب أدارت فخر النساء مفتاح الكهرباء : لماذا تجلس دائماً في هذه الغرفة ؟

دق الأمير الأرض برجله:

- أفلم أقل لا تصعدى إلى فوق ، يا فخرى؟

كان رأسه لا يزال بين يديه. شمت فخرى حتى رائحة الغبار الذي تصاعد: ماذا يفعل في هذه الغرفة؟

أدار المفتاح. أظلمت الغرفة: لماذا علق تلك الصور على الجدران؟ وضعت فخر النساء زهرة القرنفل في زاوية فمها. وهذه الحديقة مليئة باللطف الوحشى أيضاً. مع كل هذه الورود الصغيرة والصفراء. حسن أن أضع زنبقة ماء في زاوية فمي .

كان قد أغلق الباب وها هو مرة أخرى في بيت السلم : ما عليه الليلة؟ لا تفع أى رائحة من فمه. منذ وقت طويل لم يعد يشرب العرق. يمكن للواحدة أن تحمى وتقدر - بدون أن تمد على نفسها يداً - أن تصير فخر النساء .

كان قد هبط السلام درجتين درجتين. ذهب إلى غرفة الطعام : كان جيداً في الأقل أنه لم يبع هذه الثريات، هذه السجادة. يا لكثرة طاسات الصيني الصغيرة ! وكم من الأقداح والأصص كانت على الرف.

وأطار المرأة الصدفي القابل للانزلاق الذى كان عليه ثمرة أترج. وتلك
الدواة الفضة المشغولة بالتخريم. كانت فخر النساء تقول: «هذه فيروز».
وقال اليهودى: «أيها الأمير، عندي مشتر جيد لهذه الثريات».

قال بصوت عالٍ ليتم!

جلست وراء المنضدة، أمامها، على ذلك الجانب من المنضدة، كان
كرسى الأمير الحالى: يجب أن أكل شيئاً. فأنا لا أستطيع، ووحدى
أيضاً، ببطن خالية.

صبت لنفسها طعاماً: كل هذا الطعام، نريده لأى غرض؟ يقول:
«أنت لا شأن لك». لو كان يأتى إلى البيت كنت أجلس قبالته، إن
لم يجيء.. فالطعام فى المطبخ لا ينزل من حلقومى .

ألقت بالمنديل على ساقها: كم كانت سيدتى تأكل حسناً! بطيئاً
بطيئةً. تتناول بأصابعها المشوقة والبيضاء السكين والشوكة فى يديها،
تنتناول قليلاً من كل لون. تشرب جرعة جرعة وتفرغ كأسها ذات الساق
الطويل. لم أرها قط تدوخ. كانت تقول: «أيها الأمير، فكر بشيخوختك،
إذ إنتى راحلة». قال الأمير: «كان لجدى الكبير كثير من الأماكن. ومهما
فعل جدى وأبى أيضاً لم يتمكنا أن يبيعوها كلها». قالت فخر النساء: «وعلى
مائدة القمار أيضاً؟» فقال الأمير: «نعم» وقالت فخر النساء: «وعلى
النساء: «فبعض فتيات أبكار إتنن...» قال الأمير: «لست أهلاً لذلك». قلت:
«أيها الأمير، اتخاذ خادماً إتنن». فقال الأمير: «وما شغل فخرى إتن؟
فكم شخصاً نحن؟» قلت: «لكن، بمفردى...» قال الأمير: «ستفعل

شيئاً ما، لا تشغلى بالك بعملها. اشربى شرابك فقط» قلت: «إذن، ففى يوم المحرر...» فصاح: «هذا الكلام هراء. اشربى شرابك يا فخر النساء». رشقت جرعة من شرابها، صار طعمه أفضل: لو لم أشرب ليلة واحدة، لا يمكن أصلاً.

شربت مرة أخرى. قال الأمير: «اشربى قليلاً قليلاً، كى يقشر». شرب جرعة أخرى: فأنا لا أستطيع. هو يشرب سريعاً سريعاً وأنا يجب أن... لو أنه اتخد بستانيا، فماء الحوض هذا أيضاً ...

كان الأمير احتجاب قد تناول الكأس بيده. كان الشراب أحمر قانياً وكانت الثمالة الآن تترسب. كانت الثريات قد هبطت إلى أسفل ، إلى ما فوق المنضدة. وصارت فخرى، لا، فخر النساء، وراء تلك البلورات الملونة قطعة قطعة. لم يكن ظاهراً إلا عيناهما. العينان اللتان أطرتهما بشادر الصلاة ذاتهما. سوداوان حيتان.

فرغت الكأس طولية الساق. سكب مرة أخرى: مهما قلت: «عزيزتى فخرى: عندما يداعبك الأمير لا تضحكى بهذا الارتفاع...»، فما كانت البنت لتبالي. عندما يائى الأمير فى منتصف الليل يذهب مرة أخرى إلى غرفة فخرى، فى سرير النوم القديم ذاك. يحتضن فخرى. يلف ذراعى فخرى حول عنقه ويدفن رأسه فى شعرها. يقول: «يا فخرى، اضحكى عالياً كى لا أسمع صوت سعال فخر النساء»، اضحكى عالياً». وكانت فخرى تضحك. تقول: «يا فخر النساء خاتم^(٢٢)، لماذا أنت بهذه النحافة؟ لماذا لا تقولى فيائى الدكتور أبو نواس ويفحصك؟ إذن ففى الأقل

لا تشربى هذه الكثرة من الشراب». قلت: «وما الفائدة؟ هذا سل وداشى، جدى، جدتنى، الأمير، أمه أيضًا، ولكن العمات.. لكترة ما شرب أبي عرقًا، من قدر ما تناول أفيونًا صار جلدًا وعظامًا، لم يبلغ الأربعين ولكن شعره كان أبيض كله».

ومرة أخرى رشفت جرعة. كان الأمير جالسًا هناك. رأسه مطاطئ.

- أيها الأمير، لا أدرى، ولكن كما لو أنه لم يبق لك شيء».

وشربت مرة أخرى: كم كانت فخر النساء عديمة الرحمة! كانت تقول: «أيها الأمير، لقد جلست كي أرى متى تسقط في هوة الإفلاس وتبיע هذا البيت» فقال الأمير: «أنا لا شأن لي بيارتك ومجوهراتك» قالت: «لم يبق شيء»، انتظروه».

رفعت الكأس. قلت: «أيها الأمير، في الأقل إذن، هذه الأساور وهذا العقد...» قال: «حسناً، هذه أيضًا لك».

فرغت الكأس الطويلة الساق. نهضت فخر النساء. كانت قد صارت خفيفة. صار ثوبها التُّل الأبيض واسعًا عليها، حتى رأسى الكتف. قالت:

- يا عزيزى الأمير، لا بد أن تأخذ واحدة.

قال الأمير: أعرف بنتًا اسمها فخرى، بنت ذاك البستانى الذى طردته، ما رأيك بها؟

قالت: لا بأس، قل لها إذن أن تجمع المائدة.

قال الأمير: حسناً، اذهبى أنت فنامي، يا فخر النساء.

واتجهت فخر النساء إلى الباب، وقالت:

- عزيزتي فخرى، عندما ينتهي عملك اصعدى إلى فوق.

وذهبت إلى الردهة ورقت السالم: مرة أخرى تأخر. ولكنني أبقي منتظرة، إلى أي وقت كان. لماذا أحرق الكتب؟ كنت قد بدأت لتوى أقرأ بلا خطأ. عندما يتأخر كنت أجلس جنب النافذة وأقرأ. يتکاکأ الفراشون على رأسه، يخلعون لباسه، يمزقون لحم بدنـه بمباري القلم ويدفعون الشمع إلى لحم جسده. يعزفون المزامير. ولا بد أن الناس اجتمعوا أيضاً وراحوا يبصقون في وجهه. يشعلون الشمع. يمسك فراشان به من تحت إبطيه ويقتادـه. ويصفق الناس. كان الجد ينظر بالناظور من فوق مبني الحكومة. تحرق الشموع والناس... لا بد أن دمع الشموع يساقط على بشرته. من كان؟ والطلاب أيضاً، حتماً، يبصقون ويقولون: «أيها الملعون الخبيث!».

دخل غرفة النوم: أدرى أين، لا أريد ضياء .

ذهب وجلس على سرير النوم، خلع حذائـه. وضع ساقاً على ساق. كانت ساقاه قد حميـتا: قلت: «عزيـزـتي فـخـريـ، ألم يـأتـ الأمـيرـ بـعـدـ؟». قالت: «لا» قلت: «تلـفـنـيـ إذـنـ كـيـ يـاتـيـ الـدـكـتـورـ أبوـ نـوـاـسـ». فـقالـتـ: «قطـعـ الأمـيرـ الـهـاتـفـ» وقد أـقـفلـ الـبـابـ أـيـضاـ. لماـذاـ كانـ يـفـعـلـ هـذـهـ الأـشـيـاءـ؟ يـذـهـبـ صـبـاحـاـ وـيـأـتـيـ عـنـدـ مـنـتـصـفـ الـلـيلـ. يـمـضـيـ إـلـىـ غـرـفـتـيـ، غـرـفـةـ فـخـريـ. كانـ يـقـولـ: «اضـحـكـ بـصـوـتـ عـالـ، ياـ فـخـريـ». وـعـنـدـماـ لاـ أـضـحـكـ يـدـغـدـغـ أـخـمـصـىـ قـدـمـىـ أوـ تـحـتـ إـبـطـيـ، أوـ يـضـرـبـنـيـ. يـضـعـ رـأـسـهـ بـيـنـ ثـدـيـيـ وـيـطـبـقـ أـذـنـيـ بـكـلـتـاـ يـدـيـهـ. وـعـنـدـئـذـ نـبـقـيـ أـنـاـ وـفـخـريـ، لاـ، أـنـاـ وـفـخـرـ النـسـاءـ، اـمـرـأـتـيـنـ وـحـيـدـتـيـنـ، مـنـ الصـبـاحـ حـتـىـ الـمـسـاءـ فـيـ ذـلـكـ الـبـيـتـ

مع تلك الجدران. تنظر فخر النساء إلى خلسة، من وراء زجاجاتى النظارة. كنت أقول: «سيدي، أنا لست مقصورة» فتقول: «أدري، أنت طيبة». ومرة أخرى تسعل.

تمددت على السرير: ليتنى كنت أوقدت النور. لو جاء الأمير سيوقد هو، يقول: «أنامـة، يا فخر النساء؟» فـأـنـظـاهـرـ بالـنـوـمـ. يـائـىـ فيـيـتـمـدـدـ جـنـبـىـ. ماـذـاـ يـجـبـ دـائـمـاـ أـنـ...ـ يـقـبـلـ حـتـىـ أـصـابـعـىـ. تـلـكـ اللـيـلـةـ أـيـةـ ضـجـةـ أـثـارـ!ـ قـلـتـ:ـ «ـماـذـاـ أـفـعـلـ؟ـ بـمـفـرـدـىـ لـاـ...ـ»ـ قـالـ:ـ «ـماـ شـائـكـ بـتـلـكـ الـأـمـوـرـ؟ـ أـنـاـ أـدـفـعـ الـمـالـ كـىـ تـنـجـزـ فـخـرـىـ أـعـمـالـ الـبـيـتـ كـىـ تـجـلـسـ فـقـطـ فـتـرـتـبـىـ نـفـسـكـ أـوـ تـقـرـأـيـ كـتـبـاـ.ـ خـمـسـ سـنـوـاتـ وـأـنـاـ أـكـدـ وـأـكـدـ حـبـ صـبـاحـ مـسـاءـ كـىـ تـتـعـلـمـ شـيـئـاـ»ـ وـعـنـدـئـذـ قـمـتـ فـيـ مـنـتصفـ الـلـيـلـ وـاغـتـسـلـتـ مـرـةـ أـخـرىـ.ـ يـبـغـيـ أـنـ أـضـعـ عـطـرـاـ دـائـمـاـ،ـ فـىـ شـعـرـىـ،ـ فـىـ صـدـرـىـ،ـ عـلـىـ يـدـىـ.ـ وـلـكـ أـفـتـذـهـ رـائـحـتـهـ؟ـ كـانـ قـدـ جـلـسـ أـمـامـ الـمـسـتـوـقـدـ يـلـقـيـ بـالـكـتـبـ وـسـطـ النـارـ.ـ كـانـ يـقـولـ:ـ «ـيـاـ فـخـرـ النـسـاءـ،ـ قـلـبـيـهاـ،ـ كـىـ تـحـرـقـ تـعـامـاـ.ـ لـاـ أـرـيدـكـ أـنـتـ أـيـضـاـ...ـ»ـ قـلـتـ:ـ «ـأـيـهـاـ الـأـمـيـرـ،ـ هـذـهـ ذـاتـ قـيـمـةـ عـالـيـةـ»ـ.ـ قـالـ:ـ «ـقـلـبـيـهاـ،ـ يـاـ فـخـرـ النـسـاءـ»ـ.ـ أـمـسـكـ بـالـتـصـوـيرـ أـمـامـ وـجـهـىـ،ـ قـالـ:ـ «ـاـنـظـرـىـ إـلـىـ جـدـىـ الـكـبـيرـ»ـ كـانـ جـدـهـ الـكـبـيرـ جـالـسـاـ مـتـرـبـعاـ وـقـدـ تـرـكـ يـدـيهـ عـلـىـ فـخـذـيـهـ الضـخـمـتـينـ.ـ كـانـ يـتـكـىـ عـلـىـ وـسـادـتـينـ أـوـ ثـلـاثـ.ـ كـانـ يـجـلـسـ عـلـىـ السـرـيرـ المـرـصـعـ،ـ قـالـ الـأـمـيـرـ:ـ كـانـ السـيـفـ عـلـىـ سـاقـهـ.ـ كـانـ شـارـبـهـ كـثـيـرـ،ـ بـتـيـنـكـ النـؤـابـتـينـ الـمـفـتوـلـتـينـ.ـ لـمـ تـكـ عـيـنـاهـ مـرـئـيـتـينـ تـحـتـ حاجـبـيـهـ الكـثـيـرـ.ـ ضـحـكـ عـالـيـاـ جـدـاـ بـحـيثـ إـنـنـىـ فـزـعـتـ.ـ أـغـلـقـ الـكـتـابـ وـرـمـاهـ وـسـطـ النـارـ الـتـىـ كـانـتـ تـشـتـعـلـ.ـ أـحـسـسـتـ الـحرـارـةـ.ـ كـانـ قـدـ بـدـأـ مـنـ أـوـلـ الـلـيـلـ.ـ لـكـ قـلـبـتـ.

النار تعالى. يداى تحرقان. سخن وجهى. كان هو جالساً على الكرسى، وقد صف الكتب حوله، فوق بعضها بعضاً، كالالبين. كان يرفعها واحداً واحداً ويلقى بها وسط النار. يقول: «قلبىها، يا فخر النساء» أفتنتهى؟ لا يحترق إلا أطراف الكتب. تبقى أواسطها بيضاء كما كانت. أقبل. يحمر الورق، يلتزم على نفسه، يسود ويستعمل. لفتني الحرارة. يواصل القول: «قلبىها، يا فخر النساء». كانت مذكرات الجد الكبير. غلافها الجلد لا يحترق أصلاً. قال الأمير: «لقد نسي حتماً أن يكتب كيف أمر بأن يبنوا كل أولئك البشر، أحياء، بالجص. لا بد أنه نسي أن يكتب كيف قطع رأس ذلك الصبي من الأذن إلى الأذن. حقاً، يا فخر النساء، إلا تدرين لماذا قتل جدى أمه، وفي بيت السيد أيضاً؟ لماذا يسألنى أنا؟ السيدة فخر النساء أيضاً لم تكن تدرى. ولكنها كانت تقول: «ربما كانت نامت مع البستانى أو...» تمسك الأم بيد ابنتها وتجلبه عند الجد الأكبر، فتقول: «لا أدري ماذا يا مولاي، هذا الطفل لا يطيع أوامرى، لا يفعل غير أن يلعب بطريقه، يهرب من الكتاب. مروا فراشى الخلوة..» ويصبح الجد الكبير بدوره: «يا رئيس الجنادين!» أمسك بصورته أمام وجهها. كان طويل القامة، بشاربين معقوفين، بجاكتة سردارى. كان يلبس جزمة. قال الأمير: «كان لباسه أحمر، غير واضح في التصوير». كان يقف ويده على صدره. ويأتى الجlad أيضاً. يجلس الطفل على الأرض. يقول الجد الكبير: «أتعهد، أيها الصبي، لا تطير طيوراً بعد؟» ويبدا بالسهر وقرع جزمه بالسوط. كما أن الجlad يفرز إصبعى يده اليمنى فى أنف الصبي ويسحب رأسه إلى أعلى ويضع حد الخنجر على

حجرته. كان الأمير يمشي، صاح: «أتعهد بأن تذهب لكتاب، ها؟» وقرع السوط على جزمه. ويضع الجلاد من جانبه قدمه على فخذ الصبي الذي كان جالساً مقيداً على الأرض. يلتتصق الصبي بيد الجلاد. لا ينبع حرفاً. لا بد أن فمه كان مفتوحاً. من أين إذن كان يتمكن أن يتنفس؟ وربما كان حشرج أو قال شيئاً لم يسمعه أحد. يقول الجد الكبير: «أتعهد أن تطيع أوامر أمك بعد هذا؟» ويقرع بالسوط على ساق جزمه. وضرب الأمير أيضاً. عندما ترى أم الصبي أن ابنها لا يفعل غير أن يخشرج، تقول: «لا أرى يا أيس العالم، تجاوز عن تقصيره. بأشكر المبارك أغفر له»، فيصبح الجد الكبير من جانبه: «لا تقطع، يا جلاداً» فيقطع الجلاد ويرمى بالرأس المقطوع أمام قدم الجد الأكبر. قال الأمير: «لم يكن أى جلاد قد سمع حتى ذلك اليوم: لا تقطع.. قلبي، يا فخر النساء» قلبت. كم كانت الكتب كثيرة! جلست عند النار حتى الصباح. قال: «يا فخر النساء، هذا ما يتعلّق بمديح الجد الأكبر، هذا ما يتعلّق ببرحة خراسان». ثم كان يلقى ثلاثة فتلاة ويصيح: «قلبيها، يا فخر النساء». يا للرماد الذي تجمع في المستوقد! كان الأمير جالساً على ذلك التحو، في تلك الغرفة، على ذلك الكرسي. أطّر الصور ووضعها في غرفته. قال: «لم تقولي كي لا أحرق تصوير الجد الأكبر؟ كم كان يتجرّق كي يكون إلى جانب هذه». قلت: «أنا لم أكن أرى». كما أنه لا يترك باب البيت مفتوحاً قط، بهذه الجدران العالية وهذا الصفصف. لو كان يدع في الأقل أن يأتي أحد ما فيغير ماء الحوض... السمك. يقول: «يجب الا تذهبى إلى تلك الغرفة». أقول: «ولكن، أيها الأمير، أفلم تر

مقدار الغبار الذى استقر على التصوير؟» ثم أنه يذهب كل ليلة إلى تلك الغرفة، وحيداً مفرداً. أى سعال يسعى! ينحني فوق كتابه. كنت أمسك كتبه. عندما ينقطع سعاله، يتناول يدى بيديه البيضاوين الصغيرتين ويقول: «أنت طيبة، يا عزيزتى فخرى». وعندئذٍ ماذا فعلت، أمام وجهه! لم كان يفعل تلك الأفعال؟ عندما كانت السيدة فخر النساء، هناك فى الأعلى، تتلوى على نفسها.. أى لون صار لها! كاللبن. لا ينى يبعث بي. يأتى إلى سريري. كنت أقول: «أيها الأمير، ليس حسناً أنك..» كان يقول: «ما الذى ليس حسناً.. جدى الأكبر..» كله الجد الأكبر، صاحب ذلك التصوير الجالس متربعاً، بذلك الشارب الكث وتلك السردابى المزينة بصورة الشمس المرصعة ، الذى وضع على صدره كل ذلك الدر. لماذا كان يبنى الناس بالجص؟ كانت السيدة فخر النساء تقرأ هذه الأمور ولذا كانت تزداد نحوأً يوماً بعد يوم. ومع ذلك، أنا مع الأمير، وأمام عينيه، مقابل جنازة سيدتي. لكنه ليس تقاصيرى. جاء إلى. لم أكن أستطيع أن أقول لا. قال: «يا الله، اضحكى مقهقهة، أريد أن أسمع صوتك». كيف كنت أستطيع؟ كانت السيدة فخر النساء فوق، فى سرير نومها. دم... قلت: «يا عزيزى الأمير، السيدة قضت نحبها عصراً». كانت عيناً السيدة كدرتين عكرين. احتضننى. من أين جاءته القوة؟ صعد بي السلام، كل تلك السلام. قرع الباب، قال: «أنتفضلين بالسعاد؟» قلت: «أيها الأمير، سبق أن قلت لك إن عينيها مثبتتان على طاق السقف». كان الدم قد انهر من زاوية فمها على خالها. يا للعينين! ضحك الأمير، قال: «أفضل». وفتح الباب. أدار مفتاح الكهرباء مشعلأً

إياد، كانت السيدة فخر النساء بلون وجهها المرهق، نائمة على السرير بطولها. كان دم زاوية فمها قد تخثر. تحت عدستي نظارتها السميكتين كانت العينان لا تزالان مفتوحتين، مثل قدحين أبيضين. قلت: «أيها الأمير، انتهت». قال: «آخرسي أنت». سحب الأمير الغطاء على وجه فخر النساء. رفع جسدها النحيف الخفيف وأخذه فوضسه في زاوية الغرفة، على الأرض. عندما انسحب الغطاء مرة أخرى إلى وراء وجرى الدم مرة أخرى على خد فخر النساء، رفع الأمير النظارة ورمها. أية عينان! كان الدم يتسرّب إلى الغطاء. كنت راكعة قرب السيدة. لم أكن أبكي. كنت قد غطيت وجهي بالمريلة كي لا أرى السيدة، هناك، تحت ذلك الغطاء الأبيض.. حشر الأمير يده داخل ياقتى ومزق ثوبى من وراء. انحنىت، فوق سيدتى. قلت: «ماذا ت يريد أن تفعل، أيها الأمير؟» رفسنى. سقطت وسط الغرفة، على ظهرى. مزق المريلة وقميصى. ومزق قميصى التحتانى أيضاً. أية عينان! حمراوان حمراوان، مثل قدحى دم. قال: «عجلى البسى». كان ثوب عرس السيدة الثل فى يده، ألقاه على جسدى. كنت عارية. قلت: «أيها الأمير، بالله عليك لا تفعل. لا تفعل هذا». أمسك مرافقى ودفعنى، على قدمى. ألصق يدى وسحبهما وضرب، بخمسة أصابع. فتح عصابة رأسى. أمسك بشعرى، قال: «انظرى يا فخر النساء، ماتت فخرى، ماتت». كان لا يزال يشد شعرى من وراء رأسى. كان الدم يرشح. قلت: «ارحمنى، أيها الأمير، إن السيدة..». كان الثوب الثل فى يده. كان ثوب السيدة. قال: «اجلسى». جلست أمام المرأة. فى المرأة كانت فخرى ما تزال هي التى تبكي. كانت وسائل زينة السيدة على المنضدة. أمام المرأة مشطت شعرى. ثم وضعت خالا. لم يكن الأمر

بيدي. كانت يدى ترتجف. قال الأمير: «ضعى الحال فى زاوية فمك اليسرى، يا فخر النساء». لم أكن أستطيع وضع هو الحال. يدا الأمير لا ترتجفان، كان ينظر إلى من المرأة. كان مبتسمًا. بابهامه مسح الدموع. لم تكن السيدة فى المرأة. كانت فخرى. لا تبكي. ليتني كنت أسعى، مثل سيدتى. احتضنتى وجاء بي إلى طرف السرير. وتمدد هو أيضًا إلى جانبي، عارياً. كان يضحك ويمر يده على بدنى وجسدى، على ساقى. يضع رأسه بين شعري. أدرت رأسي. كانت السيدة هناك، متمددة بطولها، تحت ذلك الغطاء الأبيض الذى ترشح إليه الدم. كانت نظارة السيدة ملقة فى زاوية الغرفة، على السجادة. كانت كتبها فى الأرفف وعلى المشكاة وفوق الطاولة. أدار الأمير وجهى، دغدغنى، قال: «اضحكى، يا فخر النساء، اضحكى». نظرت إلى سيدتى وإلى الدم الذى كان ينز مجددًا. كان جسد السيدة طويلاً ونحيلًا. صفع الأمير وجهى وصرخ: «عزيزتى فخر النساء، أنت لم تكوني هكذا». فقلت: «لكننى لست فخر النساء». وأراد. أنا لم أرد. كنت فقط أنظر إلى السيدة وإلى نظارتها التى كانت ساقطة على جانب الأترج الكبير فى السجادة. قال: «لماذا لا تضحكين مقهقهة، يا فخر النساء؟» كان قد وضع يده على مرفقى، ينظر إلى. استند إلى ذراعه اليسرى. كان نائماً ظهره إلى ظهر السيدة. لم أستطع أن أرى نظارة السيدة. قال: « تخافين، يا فخر النساء؟» مسح الدموع. مد إصبعه فوق وجهى وعلى شفتى وأنفى. مرة أخرى مسح الدموع. قال: «أنت تخافين، ها؟» اكتفيت بالنظر إلى السقف وزهور وأغصان التجميس وإلى ذلك الملك الذى كان بين زهر البطونية... قال الأمير: «ليت أحدهم يطفئ المصباح . أنت لا تخافين،

يا فخر النساء؟» أطبقَ أGFانى . ليتنى كنت أسعـل كالسـيدة . ليـت النـوم
يـستولـى عـلـىـيـ. ليـتنـى أـمـوت .

كان الأمـير اـحـتجـاب مـطـأـطـاـ الرـأسـ، عـلـىـ عـمـودـ ذـرـاعـيـهـ. كانت فـخـرـ
الـنـسـاءـ جـالـسـةـ، الـكـتـابـ بـيـدـهـاـ، فـىـ الـجـانـبـ الـآـخـرـ، فـىـ كـرـسـىـ الـراـحةـ
الـدـوـارـ ذـاكـ إـيـاهـ . كان سـاقـ زـهـرـةـ الـقـرـنـفـلـ لـاـ يـزالـ فـىـ الـزـهـرـيـةـ . كان
الـجـدـ جـالـسـاـ فـىـ كـرـسـيـهـ . سـعـلـ الـأـمـيرـ. اـهـنـتـ الـنـوـافـذـ.

قالـتـ: «ـانـظـرـ، أـيـهـاـ الـأـمـيرـ، هـذـهـ أـنـاـ». كانت قد وـضـعـتـ إـبـهـامـهـاـ فـىـ
فـمـهـاـ وـرـاحـتـ تـمـصـ. كانت جـنـبـ الجـدـةـ. كانت إـحـدىـ يـدـىـ الجـدـةـ عـلـىـ
فـخـذـهـاـ. كانت جـالـسـةـ عـلـىـ مـقـعـدـ، مـقـيـمـةـ رـأـسـهـاـ. وكان رـئـيـسـ الـمـصـورـيـنـ
مـوـجـودـاـ أـيـضـاـ. لـاـ بـدـ أـنـهـ قـالـ: «ـانـظـرـىـ، أـيـهـاـ السـيـدـةـ الـكـبـيـرـةـ، هـنـاـ»ـ.
وـالـتـقـطـ الـتـصـوـيـرـ. كانت قد اـحـتـضـنـتـ بـيـدـهـاـ الـيـسـرىـ فـخـرـ الـنـسـاءـ. كانـ
إـلـىـ جـانـبـهـاـ الـأـيـسـرـ زـهـرـيـةـ فـيـهـاـ سـيـقـانـ زـهـرـ طـوـيـلـةـ. وـرـاءـ الـزـهـورـ، لـمـ يـكـنـ
يـرـىـ غـيـرـ السـاقـ الـطـوـيـلـةـ وـالـبـيـضـاءـ لـلـنـافـوـرـةـ. قـلتـ: «ـفـخـرـ الـنـسـاءـ، سـيـدـتـىـ
الـعـزـيزـةـ، أـكـانـ شـعـرـهـاـ أـبـيـضـ دـائـمـاـ؟ـ»ـ فـقـالـتـ: «ـبـقـدـرـ مـاـ ذـكـرـ، دـائـمـاـ»ـ
لـاـ تـفـعـلـ غـيـرـ أـنـ تـمـصـ إـبـهـامـهـاـ. تـرـسـلـ الـعـمـةـ الصـفـرـيـ الـمـرـبـيـةـ قـمـرـ إـلـىـ
بـيـتـ الـمـيرـزاـ مـعـتمـدـ، زـوـجـهـاـ الـأـوـلـ، أـنـ: «ـاعـطـواـ الطـفـلـةـ كـىـ يـجـلـبـوـهـاـ، أـرـيدـ
أـنـ أـرـبـيـهـاـ بـنـفـسـىـ»ـ. كانت الطـفـلـةـ تـغـفـوـ فـيـ الـمـهـدـ، تـمـصـ إـبـهـامـهـاـ. قـالـتـ
الـمـرـبـيـةـ قـمـرـ: «ـأـوـاهـ، أـيـهـاـ السـيـدـةـ الـكـبـيـرـةـ، كـمـ هـىـ جـمـيـلـةـ اـبـالـلـهـ عـلـيـكـ
اـلـاـ يـهـضـمـكـ أـنـ تـكـبـرـ طـفـلـةـ بـهـذـاـ الـجـمـالـ بـلـاـ أـمـ؟ـ»ـ كـانـتـ الجـدـةـ قـدـ قـالـتـ:
«ـكـانـ وـاجـبـاـ عـلـىـ مـنـيـرـةـ خـاتـونـ أـنـ تـعـمـلـ فـكـرـهـاـ قـبـلـاـ، لـاـ أـلـآنـ إـذـ فـاتـ
الـوقـتـ»ـ. فـقـالـتـ المـرـبـيـةـ قـمـرـ: «ـلـمـ تـكـنـ السـيـدـةـ مـقـصـرـةـ. صـاحـبـ السـمـوـ
تـفـضـلـ بـالـقـوـلـ تـطـلـقـىـ، فـقـالـتـ عـلـىـ عـيـنـىـ»ـ.

لم يكن الميرزا معتمد راضياً. عندما يخرج من دار الحكومة - كان يركب العربة - يصل إلى جانب النهر، فيرى الناس متجمعين. وكان فراشوا الحكومة أيضاً مع الميرزا معتمد، والفلمان أيضاً. يقول: «انظروا ما الأمر»، ينهمر الفراشون ويرجعون الناس إلى وراء بضرب الهراءات. كان ثمة حمار بنصف روح على شاطئ النهر. كان الناس يشربون دمه. يعني إلى هذا الحد كان القحط بحيث يشرب الناس دم...؟ طيب، معلوم، كان الجد والملالى قد احتكروا الحنطة في صوامعهم. عندما كانت تتعفن، كانوا يسكنونها مساء في النهر. ولم يكن المطر ليسقط أيضاً. كان النهر جافاً يابساً. يعود الميرزا معتمد إلى دار الحكومة. يسلم الجبة، خلعة الأمير، مع حمالة الأقلام إلى أيدي الخدم كي يأخذوها إليه ويدهب إلى بيته هو ويغلق الباب. ومهما أرسل الجد من ناس، كان الميرزا معتمد يقول: «لم أعد أمارس الخدمة».

كان طفلاه قد ماتا، واحد في سنة الوباء، والأخر على الولادة. يبعث الجد رسالة مؤداها أنك يجب أن تطلق السيدة خاتون وإلا.. يكتب الميرزا معتمد على هامش الرسالة: الأمر الأعلى مطاع. كان قد كتب: «كل ما حصل عليه هذا العبد لله في خدمة حضرة صاحب السمو ملك لعيid عتبة ناشر العدل الأعظم الأمجد». وأنه «متى ما تفضل سمعه بالأمر سيقدمه، أما فيما يتعلق بالزوجة المكرمة، السيدة خاتون، فسيعمل بما يتفضل به حجج الإسلام والشرع الأنور». يذهب الفراشون فيشدون، حسب الأمر، الميرزا معتمد إلى فلقه ويجلبون أيضاً نيرة خاتون. أكانت حبلـي أم لا؟ لا أدرى. ولم تكن فخر النساء أيضاً تدرى،

ولكنها قالت: «ربما كانت». إذن يرسلون فخر النساء فيما بعد إلى بيت الميرزا معتمد. يطلقون العمة الصغرى طلاقاً ثلثاً، في حضرة إمام الجمعة. كان من المقرر أن يعطوا نيرة خاتون إلى ابن الوزير الأعظم كى يقوى موقع الجد. ولكن الوزير يتعرض للغضب. كما أن الجد ينصرف عن هذا العمل.

تقول المربية قمر: «أيتها السيدة الكبيرة، اعطني الطفلة أخذها هناك. لقد اشتاقت نيرة خاتون كثيراً للطفلة، فالطفل يريد أمّا». تقول الجدة: «ما عند الأمّ ها؟» وقامت المربية قمر... لا أدري، قالت شيئاً فمدت الجدة يدها إلى جيب ثوبها وسحبت ذلك المنديل الكبير. كان وجه المنديل مملوءاً بالملهيات. قالت فخر النساء: «تناول الجدة منديلاً يزيداً^(٢٢) كبيراً وترش في أطرافه وثناياه السكر وتعقده بخيط». قالت: «انظرى كل هذه الملهميات، يمكننى بهذه وحدها أن أكبير طفلتى».

يرسل الجد فراشين. يأخذون الميرزا معتمد إلى مقر الحكومة، حيث الجب. ولكن مهما فعلوا لا يعثرون على فخر النساء ولا على الجدة. ينهبون كل شيء ذا قيمة. ويختومون البيت بالشمع والمهر. لا بد أن الجد فهم أن الجدة قد ذهبت تشتكي إلى العاصمة. يضع أشخاصاً عند البوابات. ولكن الجدة تذهب بحمار مستأجر وخادم واحد من طريق غير مطروق كثيراً. وتأخذ فخر النساء معها أيضاً. كانت تركب الحمار، وفخر النساء إلى جانبها أيضاً. كان الخادم يمسك لجام الحمار. تمضي الجدة إلى بيت إحدى سيدات الحرّم فتعتصم، السيدة أنيس أو واحدة أخرى.

(٢٢) قطعة قماش بمربيعات ، يكن اللون الأحمر الداكن غالباً فيها ، اشتهرت مدينة يزد بصناعتها .

تتوسط السيدة أنيس كى يكف الجد عن الميرزا معتمد. كان الميرزا معتمد قد صار جلداً وعظماً فقط. كانت آثار القيود والأغلال ظاهرة على يديه ورجليه. كتب إقراراً نصه: «أودع كل أملاكي طائعاً راغباً وهبها للأمجد الأفخم، صاحب السمو». لا يعيد الجد الأملك، لا يعيد إلا البيت ويأخذون بالحسبان أيضاً راتباً - ومن جانب الجد الأكبر.

أعطوا العمة الصغرى فيما بعد إلى إمام الجمعة. أتذكر ذلك جيداً. لم تمض سنتان حتى عادت. كانت تذهب في بعض الأحيان مع الخدم لرؤية فخر النساء. لم تكن فخر النساء تذكر غير العينين السوداويين. كانتا تبدوان من شق الباب. كانت تنتظر فقط وتذهب، قالت فخر النساء: «كانت الجدة تقول إذا ما ذهبت إلى الباب سيكتونك، مثل أبيك، انظري كيف وسموه». كانوا قد وسموا ظاهر كفى الميرزا معتمد، الجد فعل ذلك، كان يريد أن يعرف أين وضع بقية المال. كان الميرزا معتمد يجلس وراء المنقل، مرة يجلس صباحاً، ومرة عصراً. في هذه الفترة ما كانت فخر النساء تفعل؟ مع تلك الجدة العجوز بيضاء الشعر التي نصبت، في التصوير، عنقها مستقيماً. وكان عندهم زهر أيضاً، يمكن معرفة ذلك من هذه الأصص. وكان ثمة حوض أيضاً. كانت فخر النساء تذهب، حتماً، إلى الحديقة، بين الزهور. تتكلم مع الزهور. تقتلع زهرة قرنفل وتضعها في زاوية فمها. وكانت الجدة تجلس، حتماً، في الإيوان وتمسك ما تحيك بيدها وتقول: «يا بنت، لا تذهبى إلى الباب، ها!».

كانت فخر النساء تمضي إلى الحوض أيضاً، عند الأسماك. كان أبوها لا يكف عن الأنين. هي نفسها قالت: «بنام منذ الصباح حتى

المساء على ضلعة الأيمن وتروح له جدتي». أما فخر النساء فتجلس، حتماً، قرب النار، أمام أبيها. تجلس عند المغرب. فهـى في الصبح والعصر في المدرسة. كانت الجدة تأخذ فخر النساء إلى المدرسة وتجلبها منها. كان الجد قد زايلته هيبيـه، وإلا فقد كان يقدر أن يستعيد فخر النساء. كان ثمة فخر النساء والجدة وذلك الأب المقعد وكل تلك الكتب، حديقة وحوض وباب تتطلع العمة الصغرى من شق فتحته. كان الميرزا معتمد يقول، فيما هو يئن أو وهو غاف: «اقرئـى، يا عزيزـى». كان شعر فخر النساء طويلاً، ووجنتها.. وجنتها؟ لا أدرى، ربما كانتا بيضاوين كما في الأيام الأخيرة.. بيضاوين أو حمراوين.. بيضاوين أو حمراوين؟ كان التصوير أسود وأبيض. لا بد أن شارب الميرزا معتمد كان رمادياً، وشعر رأسه خفيفاً... والأنف؟ كان يتکـى على الوسادة ويتناول الأنفـين، ويقول: «اقرئـى، يا عزيزـى».

كان راتبـهم قليلاً. كان عند الجدة مجـهرات كثـيرة، فباعـتها واحدة واحدة. وباعـوا الكـتب أيضاً وحتى العـتيقات. بـقيـت من مجـهرات الجـدة أشيـاء وصلـت إلى فـخر النـساء. يـصحـون ذات صـباح فيـجدـون المـيرـزا معـتمـد مـيـتاً. كان قد مـات فيـ فـراـشهـ، مـفـتوـح الفـمـ وـفـي زـاوـيـتـيـ فـمـهـ زـبدـ أبيـضـ وـعـيـنـاهـ مـسـمـرـتـانـ مـرـةـ أـخـرىـ بـالـسـقـفـ. كان عمرـ فـخرـ النـسـاءـ عـشـرـ سـنـوـاتـ، هـىـ قـالـتـ. لاـ بدـ أـنـهـاـ كـانـتـ نـحـيـفـةـ بـتـيـنـكـ الغـضـنـتـيـنـ الرـقـيقـتـيـنـ إـيـاهـماـ قـرـبـ الشـفـتـيـنـ وـالـخـالـ فـيـ زـاوـيـةـ الفـمـ الـيـسـرىـ. وـثـوـبـهاـ.. أـىـ ثـوبـ؟ـ أبيـضـ؟ـ ربـماـ. وـتـلـكـ النـظـارـةـ. كـلـاـ، لاـ بدـ أـنـهـاـ صـارـتـ تـسـتـعـملـ النـظـارـةـ فـيـماـ بـعـدـ. كانـ حـيـدـرـ عـلـىـ خـادـمـهـ، قدـ قالـ لـفـخرـ النـسـاءـ: «إـنـ الـعـلـمـ عـلـ

الحكيم أبي نواس». لا يدرى أحد إن كان الجد كان يفعل من تلك الأمور. لم يكن قد بقى لدى الميرزا معتمد شيء كى يشفطه الجد. كانت الجدة تقيم مع خادمهم وزوجته وفخري. كانت فخرى صفيرة، حمراء وبيبةاء. لا بد أن العمة الصغرى أرسلت ناساً كى تأخذ الطفلة . ولكن الجدة لم تعطها. قالت فخرى: « لم تعد الجدة تستطيع أن تسير، تجرجر نفسها على الأرض وتلتئ إلى الإيوان ، فوق السلم وتحدق فاغرة الفم إلى الباب » .

ظهرأً أو عند العصر عندما تعود فخر النساء.. كانت فخر النساء ترتدي لباساً فوقانيًّا من الخام المصبوغ. تفتح الباب والحقيقة بيدها فترى الجدة جالسة على السالم، وراء النافورة. أكان الأصيصين بجانبها؟ تركض، كانت تركض الشارع بطوله. يتخلل الهواء شعرها ولباسها الخام الفوقي. تهز حقيبتها. وكانت الجدة تفتح كلتا ذراعيها، حتماً، وترى كيف أن حفيتها تركض بساقيها الصغيرتين هذين. ترى شعرها إذ يتلاعب به... ثم تحضنها. تقبل فوق خالها وتبعد - بإصبعها العجوز المرتفع - بعض خصلات شعر سقطت على جبين حفيتها. كان الأمر على ذلك النحو، ربما.

فيم كانت الجدة تفك؟ ربما كانت تريد أن تبقى حية وتجرجر نفسها من داخل الغرفة إلى الودة ومن هناك إلى الإيوان ومن هناك إلى حافة السالم ثم تجلس منتظرة. ولكن ذات يوم لن يعود بمقدورها، حتماً. تحتضنانها، فخرى وأم فخرى. كانت فخرى لا تزال صفيرة، لم تكن تستطيع. تمسك أم فخرى وجدير على تحت إبطيها. وبعد ذلك.. بعد ذلك..

ماذا؟ لم لم أسأل فخر النساء؟ تصل العمة الصغرى بضع مرات إلى أول طريق المدرسة وتركبها العربية. قالت فخر النساء: «في البداية خفت أن يأخذوني فيكوني». يجعلون فخر النساء تجلس أمام وجهها وتنظر إليها. لابد أن فخر النساء كانت تريد النظر إلى الخارج من نافذة العربية. قلعت عينيها، حسناً ما فعلت، ولم تكن فخر النساء مررتاحه.

قالت: «في البدء تجلس وتنظر إلى، وتقول بعدئذ: أنت ابنتي، تعرفين أن أباك الأفيوني ذاك غير جدير بي، يتبغى لا تخافي مني».

(لابد كانت تقيم رأسها). تعبس فخر النساء. تهرّ إصبعها:

«أنت ابنتي، يجب أن تفخري بي، فانا كنت زوجة إمام الجمعة طيلة سنتين، امرأة السيد حسن المجتهد^(٢٤)، أتفهمين؟» ثم تضحك. حسناً، وفيما بعد.. مثاذا بعد؟ عندما لم تعد الجدة تستطيع أن تجلس في الإيوان، عند حاشية السالم...؟

النافورة والأصيص والجدة بشعرها الأبيض وفخر النساء التي تمص إصبعها الإبهام، وكان كبير المصورين موجوداً أيضاً. ثم..؟ ثم تموت الجدة، على سجادة الصلاة أو في السرير أو على الإيوان. لا فرق، تموت. تبقى فخر النساء وذلك البيت الكبير وفخرى وحيدر على وأم فخرى. وتموت أم فخرى أيضاً. ترحل على الولادة. تزوج حيدر على في بيتي مرة أخرى. كم كان إنساناً ملحاً! جاء ليقول: «أنا وأبنتي معًا. كل من أراد ابنتي عليه أن يريدينى أنا أيضًا». المقيت بهخارجاً.

(٢٤) أي: الذي أنهى دراسة الفقه وصار من حقة الاجتهاد (أي: الافتاء).

غير ممكٌ، لو أنتى أفسحت له المجال فإن فخرى، عندما ترى تلك اللحية البيضاء الكثة وقامة أبيها القصيرة وينديه العجوز، ستدرك أنها فخرى، لا فخر النساء. فعلت حسناً. وكان حنّا بعد سنتين أيضاً. كنت أعطيه مالاً. قال: «إن لم تتعقد على فخرى فسأخرج أمامك معترضًا». قلت: «اذهب فكل أى خراء شئت». أعطيته مالاً. في كل شهر كنت أوصل له راتبه في الموعد. كنت قد استأجرت له غرفتين. كان يجلس على حافة الإيوان ويدخن الـ جِبْقُ^(٣٥). لماذا يجلس العجائز دائمًا على حاشية الإيوان، أو حافة الحوض؟

تزوجت العمة الصفرى، بعد ذلك بزمن طويل، عندما توفى جدى. لم تنجب الأصيص والتأفورة... عندما ماتت جدتي.. كم كان سيصبر جيداً لو كان لى تصاوير لفخر النساء أيضاً! لكن علقتها جميعاً في هذه الغرفة بالذات.

كانت واقفة عند جدول الماء، نحيلة طويلة بذلك الثوب الأسود. كان مرافقها عاريين، أبيضين أبيضين، ألقت شعرها المصفور وراء رأسها. كان عندها نظارة. كان ثوبها ذا كسرات، كسرات دقيقة، حول الخصر، وفي حاشية تنورتها شريط تل أبيض، نو كسرات. كان ساقاها نحيلين، أبيضين بيدين الجزمتين السوداويتين قصيرتي الساقين. كانت واقفة. رأيت صفحه وجهها، الأنف والعين وخط عنقها. كان عنان الحصان في يدي. وكان مراد أيضاً موجوداً، أو لم يكن . فخر النساء كانت.

(٣٥) - عليون بدائي الشكل مبسمة طويل ومستقيم.

نظرت إليها، نظرت إلىَّ من وراء زجاجتي النظارة إياهما. كانت عيناهما
ما تزال حيتين وسوداين. أدارت رأسها. أكان مراد موجوداً؟ حتماً.
لأنني ركبت مرة أخرى، وقد ساعدني مراد. سلمت الحصان بيد مراد.
التفتُّ من بين الأشجار، ذلك المكان الذي كان مظللاً وتقع هنا وهناك
بقعة نور على الأوداق والغصون. وأصوات العصافير أيضاً كانت تصل.
كسرت غصنًا من الشجرة. كانت هناك، في انتهاء ذلك المجاز الأخضر
الطويل، داخل نور الشمس المبهر الذي يصفع العين. كان الغصن في
يدي. كانت واقفة وتنتظر. تبتسم، تلك البسمة المرة إياها التي عندما
يراهما المرء يتمنى لو أنه أخفى وجهه أو أن يذهب فيقف أمام المرأة ذات
الحجم الطبيعي فيتملى وضعه على نحو دقيق. عدت. كان الغصن في
يدي أجرد تماماً، كنت قد نزعت كل أوراقه. قلعت آخر ومن بين الأشجار
ذهبت إلى حافة الحوض، عند أولئك الصبايا الحجريات اللائي ينهمرن
الماء من أفواهن إلى داخل الحوض. كن عاريات تماماً، باثناء صغيرة
ويطون بارزة. نظرت إلى الماء، كان شعري مشععاً، عدت. كانت لا تزال
وراء الأشجار، على الجانب الآخر، تقف في الشارع المفروش بالحصى.
مررت من جنبها، من طرف الشارع الآخر واستدرت من جانب جدول الماء.
لم أنظر إلا إلى الماء، إلى الأوداق التي كانت تمضي فوق الماء، فإذا بها
تقول فجأة: «يا خسرو خان، عسى الا تكون عاشقاً، ها؟» التفتُّ. كانت
هي نفسها بتلك الابتسامة وتبينك العينين وذينك الخطرين جنب الشفتين ..

ليتنى كنت ابتدأت من هنا بالضبط، لا من ذلك التصوير الحالى
الياحتى لجذبي وتلك النافورة وذلك الأصيبح. مضى الآن. أدرى أننى
لم أنطق كلمة. جاءت، جاءت بنفسها ووضعت يدها تحت ذقني. رفعت

رأسي، البسمة ذاتها، ليت بالإمكان أن أمسح تلك البسمة بطريقة ما. فخرى لا تستطيع، لا تستطيع قط أن تبتسم على ذلك النحو. مهما فعلت لم تتمكن، تفتح فمها فتكشف عن أسنانها الكبيرة وتضحك، وبصوت عالٍ أيضاً. الحمقاء! ولكن فخر النساء.. كما لو أن ثمة في مجموع تلك الخطوط جنب الشفتين وتبينك العينين وحتى استداره الشفتين شيئاً يخيف الإنسان. يحس المرأة كم هو صغير وتابه، ول يكن حفيد حضرة صاحب السمو. ليتنى مت.

سعل الأمير احتجاب، سعل بصوت عال مفطوط واهتزت كتفاه. كانت يداها نحيفتين وببيضاوين، كان الثوب الأسود محكمًا على جسدها. قالت: «يا خسرو خان، احمررت؟ عجيب جداً! داخل هذا البيت وبين كل هذه العترة والعصمة، وأنت أيضاً بهذا القد والقما حتماً...». من أين كانت تدرى؟ إذ مع منيرة خاتون فقط.. قال الجد: «أكنت تلعب؟» كان يجلس على سريره متربعاً. نظرت إلى صوف صدره، كان الجد يلبس صديريًا. كانت يدي في يد أمي، كانت يد الأم ترتجف. قال الجد: «اتركى يده، فهو ليس طفلاً». وقالت الجدة: «ليس الطفل مقصراً». سأل الجد بهدوء: «مع من كنت تلعب أيضاً، يا خسرو خان؟ عدا منيرة خاتون أى فرس عارية أخرى ركبته، ها؟» قلت: «ركبت..» لم أقل، كنت أريد أن أقول: نصرت السادات، عندما ضرب. ضربنى جدى على رسم رجلى، يا للصراخ الذى كانت تصرخه، منيرة خاتون!».

كانت منيرة خاتون فى الحرم، تقف إلى جانب الدعامة. كان شعرها قصيراً، كما الأولاد، كان على جسدها ثوب مورد طويل. كانت تخبط فى

الماء، صارت نحيلة. كان قفافها ظاهراً، أبيض، بذلك الشعير الرقيق. ذهبت إلى جانب الدعامة. لم تنظر إلى، ولا نطقت بحرف أيضاً. اكتفت بالانحناء على ماء الدعامة ومرة أخرى خلطت الماء. تموج الماء واهتزت صورة منيرة خاتون. تموج شعرها. كنت قد وقفت على أصابع قدمي. سكن الماء. لماذا تقف دائماً عند الدعامة وتخلط الماء؟ انحنت على الماء ونظرت. كانت قد صبغت شفتيها بالأحمر. لماذا؟ لا أدرى. حتى ذقنها كان أحمر أيضاً. لم يكن أحمر شفاه، حتماً. كان إثنان من أسنانها الأمامية ساقطين. قلت: «ماذا تريدين أن ترى، يا منيرة خاتون؟» فقلت: «ها قد ظهرت مرة أخرى، ظهرت مرة أخرى، يا خسرو خان؟» كانت دائماً تقول هذا. فقط وتنظر وتخلط الماء ومرة أخرى تنظر إلى الماء، في الأمواج. عمَّ تبحث؟ اقتربت من جافة الدعامة ونظرت. كان ماء الدعامة صافياً. لم يكن فيه سمك. سقطت صورة الأرجيلة فقط في الماء، في الطرف الآخر من الدعامة. قالت: «أرأيت، يا خسرو خان؟» قلت: «ماذا، ماذا؟» فقلت: «عندما يختلط الماء انظر». وخلطت الماء. نظرت، لم يكن ثمة شيء، مجرد وجه منيرة خاتون الذي كان يستطيل، يتموج وينكسر فيصير قطعة قطعة. وبعدها كان وجه منيرة خاتون مرة أخرى بذلك الشعر القصير وتبينك الشفتين الحمراوين. قلت: «تصوירك فقط». قالت: «أنت لا تستطيع أن ترى. وصاحب السمع أيضاً لا يستطيع. أنا وحدى التي تستطيع، أنا وحدى».

قال السيد المعلم: «مجنونة، لا تذهب قربها». قلت: «أتمنى أن أرى»: قال: «ماذا؟» قلت: «لابد أن منيرة خاتون ترى شيئاً في ماء الدعامة بحيث تتحنى دائماً وتنظر». قال: «مجنونة، يا خسروخان، بینت لك أنها مجنونة». قلت: «يا منيرة خاتون، أتريدين أن تلعب، ركوب الخيل؟ إننى

أتمنى»، صرخت: «رأيت، رأيت». كانت قد انحنت فوق الماء، كان الماء قد تموج. قلت: «ماذا؟» كانت تنظر إلى الموج فقط. ما الذي كانت تراه. لماذا اهتممت بمقدمة خاتون؟ فخر النساء.. ليت كان عندي تصوير. أصيص.. زهر القرنفل.. أمسكت فخر النساء يدي. يا لها من يد خفيفة، يدها! ذهبتنا إلى الأشجار، داخل ذلك المجاز الأخضر الطويل نفسه الذي يبلغ الظل والجانب الآخر من الأشجار، إلى بئر الأبقار وذلك العمود الجبلي.. انحنت، التقطت بضع حصوات ووضعتها في كف يدي. نظرت إلى، كانت تضحك. كانت البسمة إياها. تحت برق الشمس لا يمكن الاختفاء في أي مكان. قالت: «اضرب». قلت: «ماذا؟» قالت: «فأنت شارد جداً، أيها الأمير، كان جدك الكبير يفرح فقط بأنه يستطيع كل صباح أن يركل عظام أعداء أجداده، عظام نادر^(٣٦) والزنديقة^(٣٧). الرميمية، بينما تخاف أنت حتى من أن ترمي حجراً على هذا الإنسان الذي بنوه بالجص منذ ما لا يقل عن عشرين سنة. لا تخف، أيها الأمير. عجل اشرح قلب جدك. فلقد كان هذا الخادم أكل الحرام كاتب تقارير للصدر الأعظم في زمانه، أبي قال. صدق. عندما يفهم الجد، يأمر بأن يبنوه هنا تماماً، على هذا المرتفع، بالجص كي يرى كل شيء على نحو جيد ويكتب التقارير عنه.

(٣٦) نادر شاه (١٦٨٨ - ١٧٤٧) راعي البقر الذي صار ملكاً على إيران إثر ثورته على الأفغان وعلى الأوزبك ، الذين خطفوه وجئنوه ، ثم فرّ من أيديهم . وكانوا قد أسلقو أصفهان عاصمة الدولة الصفوية . وقد فتح آسيا الوسطى وقسمها من الهند إلى دلهي . وقد نقل آقا محمد خان ، مؤسس السلالة القاجارية ، عظامه وعظام كريم خان ، إلى قصره فبناتها بالسلام كي يدوسها مرات كل يوم تشفيأ !

(٣٧) سلسلة أسسها كريم خان (١٧٠٥ - ١٧٧٩) ، وقد حكمت إيران من سنة ١٧٥٠ لغاية ١٧٩٤ .

كان الحصى في يدي وهناك على القاعدة الحجرية التي يُرقى إليها ببعض درجات، فوق، كان ثمة شكل مبهم جسيء لإنسان. كيف أنتني لم أعرف الأمر حتى ذلك الوقت؟ قلت: «لم أكن أدرى، لم يقل السيد المعلم شيئاً». قالت: «والآن إذ عرفت، لماذا أنت واقف؟ أسرع ارجمه».

من كان كاتب التقارير هذا؟ اسمه؟ فخر النساء أيضاً لم تكن تدرى. قالت: «واحد من خمسة عشر مليون إنسان، ما الفرق؟ كان إنساناً، أنا نفسي أوعزت بأن يهدموه، لم أذهب، قلت أن يدفنوه هنا بالضبيط. وكان مع ذلك، في جدار بئر البقر وحتى... ملأوه. لماذا كان يفعل هذه الأمور؟ كان أبي إنساناً طيباً، يقول مراد، كان مراد يعرف أبي جيداً. قالت فخر النساء: «قتل كثريين، ولكن حسن أبيك أنه لم يكن الأمر يجري أمامه، أنه لم يكن يومياً، أنه في ساعة واحدة و.. تمام. دفعه واحدة ما بين مترين وخمسة جريح وقتيل».

قالت فخر النساء: «حسناً، لنذهب، في عرقك لا توجد حتى قطرة واحدة من دم أجدادك الكبار». ألقيت الحصى. كان الأب جالساً في الغرفة خماسية الأبواب، ظهره مسند إلى وسادة. كانت مخدة موضوعة تحت ساقه، ومنقل النار أمامه. وكان إلى جانبه الأيسر والأيمن وسائد أيضاً. كان الميرزا نصر الله ينفع له. قال الأب: «يا للسرعة التي تعارفتما فيها!» كان شارب الأب رماديًّا. كان ينفث الدخان من أنفه وفيه. لم تقل فخر النساء شيئاً. كنت قد أطلقت يدي. كنا نتجول في الغرف عندما وصلنا إلى هناك. قال الأب: «حسناً، اذهبا فتعرفا على بعضكم أكثر».

قالت فخر النساء: «لقد كتبت نيرة خاتون رسالة قالت فيها إننا، نحن الاثنين، يجب أن تتزوج مع بعضنا بعضاً». قالت فيما بعد، لم تكن تقول فقط: أمي. كانت تجلس في الإيوان وتقرأ كتاباً. عندما ذهبت إلى جانبها، جنب درابزين الشرفة، قالت: «أيها الأمير، لا تقف عاطلاً هنا، ليس الصيف جيداً لك. يجب أن تقوم بشيء». كنت أذهب للصيد، في سيارة جيب. لا لطف فيه. كنا نطارد الغزلان حتى تسقط منها رهبة. تتدلى ألسنتها من أفواهها. كم هي حمراء! ترتجف بطونها، بتلك السيقان الصغيرة والعيون البدعة السوداء وتلك النظارات الحائرة الخائفة. لم يكن يلهيني غير الورق. ثلاثة ملوك وامرأتان. عندما كنت أرى يد الخصم ترتجف ويرتعش ما تحت عينه أو أراه يطفي سيجارته في المنضدة.. من أجل هذا ذهبت نحوها. ينبغي أن أتخلص من الأملال على نحو ما. عندما خلت يدي كنت ألعب بالكرة.

كانت فخر النساء تقول: «ليس هذا شفلاً، إتك لتخدع نفسك. يجب أن تمارس عملاً هو عمل، يسوّد في الأقل صفحات من التاريخ. احمل بندقية واذهب عند سور البستان واستهدف شخصاً يمر من هناك فارمه. ثم قف وتفرج على نزعه. أما إذا كنت لا ترتاح لشخص معين، فإن رأيت أن هذا الشخص يقرأ بيت شعر خطأ أو يتخطط أو حتى إنه وضع قدمه على مصطبة بيتك كى يعقد شريط حذائه، فلست مجازاً بأن تستهدف رأسه. إن انتخاب الشخص كلما كان أكثر عشوائية كان أفضل. إن من يبحث عن مجرد لقتل إنسان هو قاتل وكذاب، وفوق هذا مجال يريد أن يخدع نفسه. لو أنك أردت أن تقتل فلا حاجة بك إلى سبب. ينبغي أن

تستهدف رأس الشخص، صدره، وتضيق الزناد، فقط. انظر، تعلم من أجدادك الأكرمين. عندما كانوا لا يجدون صيدا كانوا يضربون البشر، وحتى الأطفال. يقفون وينظرون، إلى الأيدي والأرجل التي تتجمع بتحريك وإلى تلك العيون التي تحدق إلى المرء مبهوتة».

كانت تضحك، بلا صوت، بتلك الخطوط إليها جنب الشفتين والعينين اللتين لا ترمشان من وراء زجاجتي النظارة. أنا لم أكن أقدر أن استقر داخل البيت. أجيء في منتصف الليل، سكراناً، كي لا أرى، كي تكون خطوط وجهها قد هدأت، كي تكون خلعت نظارتها، كي تكون أغمضت الأجناف. ممددة بطولها على السرير، بذلك القميص الأبيض وذلك الشعر المنثور على الوسادة . كانت تقول : « أطفئ المصباح ، أيها الأمير » .

قال الأمير احتجاب بصوت عالٍ :

- كانت هذه و... و...

وسعـل.

ما الذي كان يخطر وراء ذلك الجبين الصافي؟ كيف يمكن الاستقرار في محل تبink العينين والنظر من وراء تبink الزجاجتين السميكتين إلى، إلى فخرى، إلى العتيقات، وإلى سطور الكتب وإلى المرأة التي تعكس الخطين الرقيقين على الجبين على نحو أعمق يوماً بعد يوم؟ لو أتنى استطعت، كالأجداد الأكرمين، أن أجلس تحت شجرة نسرین الكلب، على العرش المرصع، وأصدر الأوامر للخدم، للجلاد بأن يجلبوا المحكوم.. ينفي تقيد يد المحكوم، ومن وراء أيضاً. كان جزاؤه

ليلة، أسبوعاً أو شهراً في حفرة الديماس، القيد في الرجل والسلسلة في اليد. النور؟ ربما كان ضياء فتحة السقف الطاقى كافياً. مادا يمكن لهذا الشعاع عديم اللون في تلك الحفرة الرطبة؟ ربما أمكن للغبار وحده أن يميز مسیر النور عن ظلمة الحفرة. ينبغي الجلد بالسوط. لو أن جنابنا حاضرون، فلابد أن ذلك أفضل. ينظر الفراشون إلينا فيضربون أشد. ينبغي إلقاء كيس مليء بالأشرفي أمامهم. كلما ارتفع الصراخ ينبغي أن يجد الخدم أشد، وكلما جدوا أشد يتquin أن يتظروا صرخات أعلى. تحت نسرين الكلاب، في الظل البارد مع العطر الذي ملا الفضاء كله. ينبغي عدم إحداث أي خدش في بشرة وجهه. أمرنا بتحريم ذلك... إذ ينبغي إرسال الرأس هدية إلى مركز الولاية أو إلى عاصمة المالك المحروسة وتلقى الإنعام عنه. يمدون النطع. الجlad، أيريد لباساً أحمر؟ حتماً. ولابد أن يصل شاريه إلى الأذن. برق الخنجر. الخنجر في طية شال الجlad. ونحن إذ أمرنا أن يوقدوا التنور من أول الليل، نعرف أن ثمة الآن بيدرأ من النار، عليه طبقة من الرماد، حاضراً. ينظر الجlad إلينا: نهز رأسنا المبارك. إصبعاً الجlad في منخرى المحكوم. أي محكوم؟ كائناً من كان: شخص يكون لرأسه قيمة، يكون وراء غضون جبهته شيء لم نطلع عليه. ولكننا ندرك أنه مضمر، إذ... يضع الجlad الخنجر على حنجرة المحكوم وجلس نحن بانتظار تافورة الدم ونأخذ غصن نسرين في أسناننا. يفور الدم. يهتز المحكوم، أو لا؟ فائنا لم أر. كان الجد والجد الأكبر قد رأيا الكثير ثم.. ثم شعر المحكوم الدامي في يد الجlad. وأرى عيني المحكوم المغوصتين. ولو أتنا حتى انهصر قوادنا، أو من أجل حفظ جبروت قدرتنا القديرة فقط، يجب أن ننظر إلى

الدم والرأس والجسد عديم الرأس الذي سقط على الأرض مقيد اليد
وداح يهتز، وإلى الفراشين والجلاد الذي جعل الرأس على سيف فنيضعه
في التنور، وسط النار جميلة اللون، كي يسهل سلخ جلد الرأس .

ينبغي سلخ جلد الرأس وإنما فستتبعد منه رائحة، وفي طول كل
هذه الطريق وهذه الطرق غير المأمونة، عندما ملأوا الرأس تبنًا وجبلوه
إلى محضرنا المقدس كيف يمكن معرفة ما الذي كان يدور وراء ذلك
الجبين وحلقت العينين الواسعتين والخاليتين وهذا الفم عديم الأسنان،
ربما لهذا السبب كان الجنود الأكرمان يلقون بالمحكوم أولاً في
الديماس، وربما لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن ينظروا من الفتحة
أو حتى من شق الباب كانوا يضعون كاتباً سرياً على المحكوم كى
يسجل كل حركاته وكلماته ويقدمها إلينا ليلة فليلة. كان الكاتب السرى
ينظر ويكتب. ولكن، إذا كان ذلك الملعون لا يئن حتى، أو يغلبه النوم، ها؟
كانوا يوقعونه ركلاً إلى جانبه طاس ماء ورغيف خيز.

لو أن المحكوم علم أن شخصاً جالس هناك، فى الظلمة وعلى ذلك
الكرسى أو طبقة الجلد، وينظر إليه ويكتب، لكان حتماً سيخفى نفسه
وراء جلده (الجلد الذى يمكن سلخه بسهولة وحشوه بالتبغ) أولاً يختفى
ويقول قوله صريحاً بلا مواربة أو ينبعى فتح لسانه بقوة المبرأة. ولو كان
المحكوم يخاف، لو توجع، أفلاب ينبعى العثور على واحد من لونه؟ ليس
قططاً. واحد كان قد تحمل الجلد كالمحكوم، الفل فى الساق والسلسلة
في العنق، هناك، إلى جانبه ممدد بطوله وبين.. وإذا لزم المحكوم الصمت
أيضاً، لو أنه كان طوال الوقت يفكر في حدس كل الأشياء التي تخطر

وداء بشرة هذا الإنسان، لو أنه أراد أن يضع نفسه محل تبنك العينين...؟ وفوق ذلك، لو أن المحكوم بدأ الكلام وثيرث، كيف يمكن لكاتب التقارير أن يتذكر ذلك كله أو يكتبه فيعرضه علينا؟ أية حركة وأية جملة سيتذكرة وأيّاً سينسى؟ بجمع هذه الجمل غير المترابطة والمفككة وتلك الحركات التي لا قيمة لها إلا في لحظة وقوعها، كيف يمكن الوصول إلى عمق لحم وجلد وشريان وعصب إنسان ما؟ أو بناء إنسان ما من جديد؟ عسى ألا ينبغى أن يكون المحكوم والكاتب السرى حرّين؟ جران بين جدران عالية ويتلهيان بحديقة وحوض وصفصاف ويضع مئات من الكتب؟ وأنا؟ أنا...

وأحس الأمير احتجاب الثقل الكبير لرأسه على يديه. كانت يداه ترتجفان.

كانت الجدران عالية. بحثت كثيراً حتى عثرت على هذا البيت. إن غرفتين لكافيتان لنوم وحركة شخصين. قالت فخرى:

- أيها الأمير، لقد سعلت السيدة اليوم. إلى حد أتنى خفت.

قلت: قات دمأ، ها؟

قالت: لا، أيها الأمير. لا سمع الله. فقط زاوية فمها صارت جمرة قليلاً. نظفتها السيدة سريعاً بمنديلها. قلت: «أنا أخاف، يا سيدتي. أتريدين أن أستدعي...»، فقالت: «كلاد، لا خوف على».

فقلت: وبعد ذلك، بعد ذلك ماذا فعلت، يا فخرى؟

قالت: قالت السيدة: «لا تقولي للأمير كلمة». قلت: «لا، يا سيدتي».

كانت فخرى تفغ رائحة طين وتبن وماء صابون، يداها ومريلتها وشعرها. قالت: «نهضت السيدة وذهبت إلى الحوض. كان لونها هارياً. قالت: يا فخرى، ضعى الكرسى جنب الحوض . فوضعته. قالت: يا فخرى، إن المرء لينقبض قلبه في هذا البيت، بكل هذه الغرف (كان مبني للفصول الأربع، مبني الأجداد). قلت: لماذا، يا سيدتي؟ قالت: لا أذرى، ولكنني لا أحب قط أن أموت هنا. ليت الأمير أخذ بيته آخر. لقد صارت هذه العمارة قديمة. أنت أيضاً لم تعودي تستطعيين أن تعنى بكل هذه الغرف. ليت الأمير يبيقه».

كان جسد فخرى ساخناً، ساخناً وعارياً ومملوءاً بالدم. لا يستطيع السل أن يحطم هذا السياج الحى. قلت:

- ثم ماذا؟

قالت: جلست جنب الحوض، وقالت: «يا فخرى، أخلفي جواربى». فقلت: «على عينى، يا سيدتي». وخلعت جواربها.

قلت: كيف كان ساقاها، يا فخرى؟ أأعجباك؟

قالت: كانوا أبيضين جداً، أيها الأمير.

تضع فخر النساء رجلهما على حافة الحوض - كانت حافة الحوض باردة - ثم في مغسل الرجل^(٢٨)، مع كل ذلك السمك، تأتى الأسماك وتتنقر بأفواهها أصابع فخر النساء. كانت فخر النساء محمومة، يضيق نفسها. قلت:

- وكانت تضع نظاراتها، يا فخرى؟

(٢٨) قحاشية تدور مع حافة الحوض ، أوطا من سطح الساحة المحيطة به ، يجري إليها الماء الذي ينبع من منه . يستعمل الفصل الأرجل تجاهها لدعها إلى داخل الحوض .

قالت: نعم، أيها الأمير، حتى أنها قالت: «عزيزتي فخرى، اذهبى بلا زحمة فهاتى لى الكتاب الذى على الطاولة».

قلت: جلست إلى جانب الحوض وقرأت كتاباً؟

قالت: عندما جلبت الكتاب، رأيت أن السيدة وضعكتنا يديها على ركبتيها، وراحت تنظر إلى محبقة، قلت: «تفضلى، يا سيدتي، لم تقل شيئاً، اكتفت بالنظر، قلت: «سيدتي، جلبت كتابك»، قفزت السيدة بدفعه واحدة، ارتعش كتفاها، التفتت ورفعت نظارتها، قالت: «أنت، يا فخرى؟»، قلت: «سيدتي، كتابك»، قالت: «آه، أعطنى إياه».

قلت: وماذا جرى بعدئذ؟

قالت: لا شيء بعد، وضفت الكتاب على تنورتها، وراحت تنظر مرة أخرى.

قلت: إلى أين؟

قالت: حسناً، لا أدرى، على الجانب الآخر كانت الفتنيات الخجليات اللانى ينصب الماء من أفواهن، والنافورة، والشارع أيضاً، وكانت ثمة أشجار أيضاً، وكان غبار جالس وسط الشارع، يأكل عظاماً.

قلت: لم تنظر إلى المسخناء؟

قالت: لا أدرى، إليها أمير، فلما لم أنهب إلى أمام السيدة، قلت لو أننى ذهبت فإنها ستزعج حتى.

عندئذ ضربت، ضربت فخرى على وجهها، قلت:

- أعلم أقل لك..؟

بكـتـ. قـلـتـ:

- ثم ماذا؟

كـنـتـ قد مـسـحتـ دـمـوعـهـاـ. فـدـهـقـ الـبـكـاءـ لـمـ يـكـنـ يـسـمـحـ. قـالـتـ:

- ذـهـبـتـ أـنـاـ إـلـىـ المـطـبـخـ كـيـ أـمـرـ بـالـطـعـامـ. ثـمـ عـنـدـمـاـ جـتـ، قـلـتـ:

«ـسـيـدـتـيـ، أـتـرـيـنـيـ أـنـ أـشـعـلـ الـمـصـبـاحـ؟ـ». فـقـدـ كـانـ الـفـرـوبـ يـحلـ.

قـالـتـ: «ـلـاـ يـاـ فـخـرـيـ، أـلـقـيـ فـقـطـ مـعـطـفـ الـخـذـاكـ عـلـىـ كـفـنـيـ»ـ.

قـلـتـ: كـانـتـ لـاـ تـزـالـ تـنـظـرـ؟ـ

قـالـتـ: نـعـمـ، أـيـهـاـ الـأـمـيـرـ. لـمـ يـكـنـ قـدـمـاهـاـ فـيـ مـفـسـلـ رـجـلـ الـحـوضـ.

قـلـتـ: أـكـانـ الـفـرـابـ مـوـجـودـاـ؟ـ

قـالـتـ: لـمـ يـكـنـ.

قـلـتـ: أـكـانـتـ تـلـكـ الـقـطـعـةـ مـنـ السـمـاءـ ظـاهـرـةـ؟ـ

قـالـتـ: لـمـ أـرـ، وـيـمـاـ لـمـ تـكـنـ.

قـلـتـ: هـنـاكـ فـيـ الـأـخـرـ، فـيـ نـهـاـيـةـ الـبـسـتـانـ، أـكـانـ الـبـابـ يـائـنـاـ؟ـ

قـالـتـ: أـظـنـهـ كـانـ.

قـلـتـ: مـاـ قـالـتـ فـخـرـ النـسـاءـ؟ـ

قـالـتـ: قـالـتـ السـيـدـةـ فـقـطـ: «ـأـنـتـ طـيـبـةـ، يـاـ فـخـرـيـ»ـ.

الـغـرـابـ وـالـعـظـامـ، الـبـنـاتـ الـحـجـرـيـاتـ، الـنـافـورـةـ وـطـبـيـاتـ الـمـوجـ..ـ لـاـبـدـ أـنـ

يـنـقـرـ الـغـرـابـ الـعـظـامـ أـوـلـاـ ثـمـ يـرـفـعـهـاـ أـوـ لـاـ يـرـفـعـهـاـ وـيـطـيـرـ عـنـ الـأـشـجـارـ،

أـوـ مـنـ بـيـنـ الـأـشـجـارـ وـيـذـهـبـ. أـكـانـتـ فـخـرـ النـسـاءـ تـنـظـرـ؟ـ لـوـ كـانـتـ تـرـىـ، فـقـدـ

كـانـتـ كـلـ حـوـاسـهـاـ مـتـجـهـةـ إـلـىـ الـغـرـابـ وـتـلـكـ الـعـظـامـ وـذـلـكـ الـجـنـاحـ وـطـيـرـانـهـ

مـنـ بـيـنـ..ـ مـنـ؟ـ

عندما تكون الدنيا مضيئه يمكن رؤية الباب. كانت العمّة الصغرى قد ماتت منذ وقت طويل. تلك العيون.. حتى لو أن عابراً نظر من شق الباب، لا يمكن الرؤية على هذا البعد. ولكن فخر النساء كانت تستطيع أن ترى، حتى لو أن أحداً لم يكن ينظر. كانت ترى تينك العينين السوداويين القلقتين اللتين كانت صاحبتهما، العمّة الصغرى، ملفوفة بملاءة لف الفراش والشادر والسروال الطويل، واقفة وراء الباب تنتظر بحس مخلوط من فزع وغرور، محبة ونفور و... تنتظر ما لا أدرى حتى ربما تلوح بنت صغيرة نحيلة مفردة على الشرفة، أو تحت الظل البارد للأشجار أو جنب الحوض .

كان الجو مشمساً، وتلك القطعة من السماء ظاهرة من بين الأغصان. لو كان ثمة بقعة غيم واحدة في السماء فلربما كانت سقطت بعض قطرات مطر إلى الحوض. قالت فخرى أو لم تقل. كان كل ما تقوله هو: «لا أدرى، لا أدرى». الحمقاء! فخر النساء وبكل ذلك الجسد النحيل والنسيم الرقيق الذي يهب...؟ لم يكونوا يعطون السجناء ماء، غير بضع جرعات في اليوم. كى لا يضطروا إلى نقلهم باستمرار أو في الأقل كى لا يمتلئ السجن رائحة كريهة. قطعة خبز واحدة. كانوا قد ألقوا به فى إحدى الغرف البرانية حتى يعترف بما عنده أيضاً وأين. ثم يرى دفعه واحدة الجlad، بهيكله الطويل ذاك، ممسكاً بالخنجر واقفاً على عتبة الباب. كان الدم يقطر من الخنجر. كان الجlad واقفاً على ذلك النحو وينظر. وربما كان يمر يده أحياناً على حافة الخنجر الحادة وينظر إلى الميرزا معتمد. كان الميرزا معتمد ينظر إلى زهر السجادة ويتابع بإصبعه

كل انحاءات خطوط النقش الإسلامي، يقول: «حسناً، ماذا تنتظر؟ ميا، أكمل شفلك». فيقول الجلاد: «تفضل صاحب السمعو فامر أن اذهب وخذ إنعام قطع رأس السيد حبيب من الميرزا معتمد». كانت فخر النساء تقول. أقرأت ذلك أم رواه لها أبوها؟ لا فرق .

أكانت فخر النساء تفكّر بذلك؟ أو بـ... بالغراب وذلك الشارع وظلال الأشجار؟ أو برؤوس الأغصان التي تلتقي مع بعضها في آخر الشارع وتشكل فوقه طاقا، طاقاً أخضر. أو بالصوت المستمر والرتاب للنافورات؟ العصافير التي اقتلعوا عيونها بمبراة الأقلام فائين يمكنها الطيران؟ كانت تضع السلم وتصعد إلى فوق وتسحب من ثنياها الأطواق بضعة عصافير. لا بد أنها كانت قد نبت لها ريش وإلا لما كانت تستطيع أن تطير، حتى أين؟

أكان يقتلع عيونها فوق ذلك السلم، أم تحت؟ اقتلعوا. هذه الأمور ليست وراثية، أو هي كذلك. دم الأجداد؟ أنا لم أستطع إدامة الصيد، حتى من رؤية بطة برية تتعرّج... أو تتناولها كلب صيد بفمه.. يضطرب فؤادي. طفل ابن ثلاثة عشرة سنة، وحاكم ولاية أيضاً، كيف يفعل مثل هذه الأشياء؟ أين كان كبير المربين...؟ كان يقلع عيون العصافير، واحدة واحدة، ويتركها كى تطير. حتى أين؟ تصطدم بالأشجار أم بالجدار؟ أكان يضحك؟ لا أدرى، ربما كان ينظر فقط كى يرى هذه المرة إن كان هذا... أو يراهن على أن هذا سيصل حتماً إلى شجرة الصنوبر تلك وعندما يرى أنه لم يصل يطلق آخر. لماذا؟ ما الجدير بالقراءة في هذا؟

قالت فخرى: «كانت جالسة وتنظر»، كان الغراب قد ذهب. كان وقت الغروب، لو أدارت فخر النساء رأسها لاستطاعت أن ترى حمرة الغروب. ولكنها لم تلتفت، أو أنها التفت ورأة ثم حدت النظر. أو لم تفعل ثم.. ثم بعد أن أظلمت الدنيا، ماذ؟ لا بد أن ضياء أحد مصابيح المبني كان يشع إلى الخارج، ربما من النافذة الغريبة للمبني أو.. وأصوات النافورات والججاجد، كما الآن إذ خيط أصواتها غير المتناهٍ... عندما ينظر المرء إلى الظلمة ، إلى هناك، يعرف ما يمكن أن يكون ، ولكنه لا يعرف ما يجري. ولذلك ففي الظلمة كثير من الأمور. في الليالي عندما كنت أجيء في وقت متاخر كنت أعرف أنها تجلس قرب النافذة، في الظلمة... تنظر إلى الظلام و.. وربما كانت فخر النساء أصلاً طوال ذلك الوقت قد أغضبت عينيها، أو أنها كانت نائمة و... وفي النوم؟

في بيت الأجداد ذاك كان يمكنها أن تسلى نفسها في كل لحظة بشيء ما. لدى التفكير في كل هذه العترة والعصمة المنحشرة في حريم الجد ورجال الدين.. اشتريت هذا البيت. عندما رأيت الجدران أحبتها. قلت، حسنُ أن أقطع شجرة الصفصاف، أبلط الحديقة وحتى أملاً الحوض. ولكن لا يمكن، لو أنها فهمت ما كان ليصبر. قلت ، حسناً، ما في ذلك من شيء. وكان حيدر على أيضاً موجوداً. زوجته. قلت أن يفرشا، في تلك الزاوية، في تلك الغرفة، قرب الباب، جلالهما وخرقهما وليس عليهما إلا أن يعتني بالحديقة وبمشتريات البيت. ولكن عندما رأيت أنهما لا يزالان يزيدان البزد - لم تمض سنتان حتى صار لهما طفلان - ألقيت بهما خارجاً. فعلت حسناً. ذهب إلى بيت ابن عمى. عندما انتهت فخر النساء ظهر مرة أخرى أن: «أنا وفخرى مع بعض»، الأحمق!

في البداية، لم أكن أغلق الباب. كنت أوصي أن يجلبوا المؤونة إلى البيت. كان الفلاحون يجلبونها أو يشترونها من السوق، كي لا يكون لهما عمل في الخارج. فقط عندما كانت فخر النساء تلح، كنا نذهب إلى القرية. كان الدكتور قد قال إنها يجب أن تذهب... كان الدكتور قد قال إنها يجب ألا تشرب. أوصي الفلاحين كي يعدوا كل سنة شراباً ويجلبوا، في السرداد كان يوجد دائماً بضم جرار. تشرب كل عصر، وتشرب على العشاء أيضاً. وماذا عن الأصباح؟ كانت فخرى تقول: «أحياناً، كأس واحدة فقط». كانت فخرى تقول: «في الأصباح كل ما تفعله السيدة هو أن تتمشى حول الحديقة». عندما كنت أستيقظ مبكراً صباحاً كنت أراها بنفسها، من فوق الشرفة، تمسك نظارتها بيدها وتمشي. من وراء ذلك الثوب اللُّل الأبيض الطويل كان جسدها يائناً. كان قفافها أبيض أبيض. الشعر منسبل على الثديين، تمشي وتقضم ساقاً آخر. أحياناً عندما كانت تسعل، تذهب فتجلس على كرسيها الذي كان تحت شجرة الصفصاف.

كانت جالسة على الكرسي. كانت نظارتها على عينيها. كانت تلعب بشعرها، قالت:

- منظر، أيها الأمير، ها؟

قلت: يا فخر النساء، في هذا الوقت من الصباح الباكر تصاصين بالبرد، وبهذا الثوب اللُّل أيضاً.

قالت: متأخراً أو سريعاً، ما الفرق، كم خسرت ليلة أمس، أيها الأمير؟

قلت: لا يستحق الذكر.

قالت: لا تُصب بالبرد.

قلت: لا تخافي.

قالت: ناد لتأتي فخرى فتجلب شيئاً تضعه على كتفى.

وسعلت. قلت لفخرى . وقلت: « لو أن السيدة تكلمت فانتبهى
ala ntssy shiyya wa la .. » وللمت بيدي خديها وأخذتها إلى حضنى . قلت:
- اضحكى، اضحكى بقهقهة.

قالت: ولكن السيدة..

قلت: ليكن، أريدها أن تسمع صوتك.

على استداررة السلم، هناك بالضبط... لكنها قالت:
- لا يصير هنا، أيها الأمير.

قلت: لماذا لا يصير؟

قالت: الجو هنا بارد، تتلّج صدرى.

قلت: مع كل هذا اللحم، مم تخافين ؟ اضحكى، يا بنت ، عاليًا!
لو قالت فخر النساء : « لماذا كنت تضحكين ؟ » فقولى إن الأمير قال .
لا تخافي. قولى . ولكن لا تتسى، يجب أن تخبرينى عندما تروين للسيدة
كيف تصير عيناها ويداها وحتى شفتاتها.

كانت فخر النساء قد قالت: «أنت طيبة، يا عزيزتي فخرى»،
وابتسمت ووضعت يديها فى جيبي المعطف. كانت عيناها وراء زجاجتى

النظارة، لا تطرفان. تركع فخرى أمام ركتبيها وتقول: «يا سيدتي، والله أنا...» تقول: «أدرى، أنت طيبة». وتنزح شعر فخرى عن جبينها. وسوت أيضًا ياقه ثوب فخرى. ثم تقول: «يا فخرى، اذهبى إلى العمام. لا يصح هكذا. لك أسبوع بكماله وأنت...» فتقول: «لكن يا سيدتي، لست طاهرة، عندما أظهر، فعلى عيني». تقول فخر النساء: «إذن فكيف ينام الأمير معك، في حين أنت..؟» تبكي فخرى وتضع رأسها في حجر فخر النساء. وتمر فخر النساء يدًا على شعر فخرى . كانت قالت : « أنت طيبة، يا فخرى » ، وكانت سعت .

عندما هبطت السلم رأيت فخرى ممسكة بكتفيها. كانت فخر النساء لا تزال تسعل، قالت: «أيها الأمير، إن صار عندك وقت أخبر الدكتور أبا نواس كى يجي». فقلت: «المهاتف موجود، قولى لفخرى أن تتلفن». فقالت: «اسمع، يا خسرو خان، أنا لا اعتراض عندي، ولكن ألم يكن أفضل لو أنت لم تتبع شمعدانات البلاور؟ كنت لا أقل تتركها لي». فقلت: «ولكن ليس عندنا مكان لكل هذه الأشياء الصغيرة». فقالت: «أنتظرك ليلاً»، فقلت: «لا أدرى، لنر ما يصير». كانت فخرى مطأطة الرأس.

عندما عدت مساء، كان صوت فخر النساء يأتى من الغرفة العليا.

قالت فخرى :

- جاء الدكتور وقال: «سيديتى، فى حالتك هذه لا تشربى شراباً، أو فى الأقل قلليه». فقالت فخر النساء: «أجلًا أو عاجلاً..»

فقلت: تحدى عن الصباح، يا فخرى.

فتححدث.

قلت: عندما صعدت إلى فوق ماذا جرى؟

قالت: كانت السيدة نائمة على السرير، قالت: «يا فخرى لماذا لا تعرفين أن تصحّكي؟» فأردت أن أقول: «ولكن يا سيدتي، كان الأمير يدغدغنى بريشة». لكنني لم أقل. قالت السيدة: «أدرى، ولكنني لا أدرى لماذا ينام الأمير معك، وعندما لا تكونين طاهرة أيضاً».

قلت: وماذا قالت أيضاً؟

قالت إنها لا تدري. قالت إنها نسيت. قالت إنها لا تريد أن تقول... فضربتها على وجهها. قالت.. أظنهما قالت.. بكت وقالت: «ولكنني لا أذكر كل شيء».

على السرير، مع كل ذلك التجصيم والثريا وسط السقف وتلك المرايا داخل أعمال الجص والكتب... من فوق السرير يمكن للمرء أن يرى نفسه في كل تلك المرايا. كانت منيرة خاتون ترى.

يأتي الدكتور. كانت فخرى أيضاً موجودة، يقول الدكتور: «سيدتي، ينبغي تصوير صدرك». فتقول فخر النساء: «أعطني شراباً أو شيئاً يقطع السعال فقط، أو أتمكن منه من الوقوف، فقط». قلت:

- وماذا قالا أيضاً، يا فخرى؟

قالت: لم يتكلما كثيراً. ذهب الدكتور سريعاً. عند الباب قال: «يا فخرى، حال سيدتك سيئة جداً. انتقلي سلامي للأمير، قولي ينبغي أن يتفضل بالتفكير في شأن السيدة وإلا...»

قلت: أضحكى، يا فخرى. أضحكى مقهقة. لا أريد سماع صوت سعالها. أضحكى!

كانت فخر النساء تسعل مثل الجد والجدة. كانت فخرى تقول: «ولكن أىها الأمير، لا يمكن الضحك بلا سبب». كنت أدغدغ تحت إبطيها بالريش، أو باطن قدميها. كانت فخرى تتلوى على نفسها، يتلاعيب ثدياتها. من كثرة ما تضحك تغزيرق عيناهما بالدموع . ولكن مع ذلك كان صوت سعال فخر النساء يصل. أضع رأسى في ثنايا شعر فخرى. أسدَ أذنىَ .

هناك فوق، على ذلك السرير، عندما تسمع صوت ضحك فخرى، بشغل الجص والمرايا الصغيرة ذاك، والستائر والثريا...؟ كانت الكتب في الأرفف، جنب السرير، أو على المستوقد، فوق بعضها البعض . لو أنها التفت لأمكنتها أن ترى مؤشر الكتاب^(٣٩) الذي كان على الطاولة. لهذا كل ما كان هناك؟ لم تقل في أى وقت: «أنت طيب، أىها الأمير».

مهما فعلت لم تسمح بأن أرى جسدها العاري . كانت تقول: «لا أحب ذلك، أىها الأمير». كنت فقط أتمدد إلى جانبها، في الظلمة أتمس كل بدنها. كانت تقول: «عجلُ أرحنى، أريد أن أنام». ولكن مع ذلك لا يواتيها النوم. كانت تقول: «انهض الآن فاقرأ لي بعض صفحات من ذلك الكتاب فلريما..». كنت أقول: «هل بدأت مجدداً، يا فخر النساء؟ أنا نحسان». كانت تقول: «أضئ ذلك المصباح، ضعه في متناول يدك». على السرير، كنت أجلس جنبها وأقرأ. كانت تضع يديها تحت رأسها وتنتظر إلى السقف وأنا أقرأ. عندما كانت تنظر، كانت تقول: «أين حواسك ،

(٣٩) ورقة تطوى وتجعل على شكل سهم ، توضع في المكان الذي يصله المرء في القراءة لفتح الكتاب عنده لاحقاً ، وهي تستعمل أيضاً لتابعة الكلمات أثناء القراءة .

أيها الأمير؟» كان أحد ثدييها ظاهراً. ينيره ضياء المصباح. كنت أنظر إلى قوس الثدى الأدنى الذى يغطيه الظل. قالت: «اقرأ، أيها الأمير». كنت سكراناً، حتماً، لأننى مددت يدى ففتحت أزرار قميص نومها. كانت ممددة على ذلك النحو، يداها تحت رأسها وتنظر إلى السقف. قلت: «أحبك، يا فخر النساء». ضحكت، ضحكت بصوت مرتفع جداً بحيث امتلأت عينها دمعاً. لم تكن تضع النظارة. لا تستطيع فخرى أن تضحك على ذلك النحو عالياً وبصوت حسن. لم تتمكن قط. كما لو كانت تتغير بالملاء، حتى كنت أضربها ومع ذلك لم تكن تستطيع. كنت أقول:
- حسناً، اضحكى عالياً على هذا النحو.

وكلت أندغدغ تحت إبطها حتى تبكي. أتمدد إلى جانبها، أضع رأسى فى طيات شعرها أو على ثدييها. كانت دافئة. كنت أنام، هناك بالضبط، فى فراش فخرى. ولكن لا يواتينى النوم. كان صوت سعادت فخر النساء يابساً ومتقطعاً.

عندما رفعوا المحفة وأطفئوا القناديل وملأت رائحة العود التكية كلها وذهب القراء وأنهوا مجلس الفاتحة، ذهبت فخر النساء - بدون أن ترفع زهرة قرنفلها من الزهرية وتضعها فى زاوية فمها - فجلست داخل إطار تصويرها . كان الغبار مستقرأ على شعرها. ورأى الأمير. ورأى أن فخر النساء وراء ذلك الغبار على الشعر ووراء ذلك الثوب الثل ونظراتها وبشرتها البيضاء، بعيداً عن متناوله، موجودة وغير موجودة. وكانت الملاعة البيضاء والدم الذى يسيل من زاوية فم فخر النساء. ومرة أخرى سمع صرير العجلات ووقع قدمى حسنى. كان الكرسى ذو العجلات يرقى السلام ومراد يقول مكرراً:

- تحركي، يا امرأة.

قالت حسني: لكنني تعبت، أفلات مضطرب إلى صعود كل هذه السلام؟

ثم لم يعد ثمة إلا صوت حركة العجلات على بلاط المدخل. عندما فتح الباب لم يسمع إلا صوت العجلات ووقع قدمي المرأة . كان الباب قد أغلق.

- سلام .

وقالت حسني أيضًا: سلام.

قال الأمير: يا مراد، ها قد جئت مرة أخرى. أفلم أقل مئة مرة .. أحس الأمير فقط بالحركة اللينة للعجلات فوق السجادة. كانت الفئران تقضم شيئاً. صاح الأمير:

- يا مراد، أمات أحد ما مرة أخرى؟ ها؟

وسعى، عندما أشعل الثقالب لم يرَ الأمير غير تينك العينين بين التجاعيد والغضون ويصيح أسلة السيجارة الخافت. كان يعرف أن الكرسي ذا العجلات صار الآن عند المستوقد وأن حسني تبحث عن شيء ما في رماد المستوقد. كما سمع صوت قضم الجرذان، هزت السعالات الجافة المقطورة كتفي الأمير.

قال مراد: يا عزيزى الأمير، أعطاك الأمير احتجاب عمره.

فسائل الأمير: الأمير احتجاب؟

قال مراد: ألا تعرفه؟ ابن العقيد احتجاب، حفيد الأمير الكبير، حفيد حفيد الجد الأكبر الأفخم الأمجد. أعني خسرو، ذاك الذي كان في أيام الاستقبال يقف عند يد الأمير الكبير، ويمسد الأمير الكبير على شعره بيده ويقول: «يا ولدي، لا تصر مثل أبيك قواداً». فقال الأمير: آها.

- أصيّب بالسل، صار جسده كالمغزل. لم يعد يعرف. رحمة الله. هز السعال كتفي الأمير. وسمع الأمير زجاج الشبابيك الملون، الثريات، الكاسات والصحون على الرفوف، تصوير الجد والجدة، الأب والأم، العمات وحتى تصوير فخر النساء، يهتز. ورأى الأمير أن فخر النساء ممددة، على طولها، تحت تلك الملاءة البيضاء وأن الدم ينذ إلى الملاءة ويزداد انتشاراً سعł ورطب الدم فمه وحاشية شفته.

كانت الفئران قد ذهبت . كان رئيس الأمير إلى أدنى ، على عمود ذراعيه . كانت يداه ترتجفان . برد جبينه . كان الصبح الكاذب قد أضاء الغرفة كلها وكانت الديكة تصيح على البعد . سمع الأمير عواه كلاب وصوت حركة عجلات فوق السجادة ثم صوت انفتاح وانغلاق باب . كانت العجلات تصوّت صارّة على بلاط المدخل وفوق السالم . قال مراد:

- تحركي، يا امرأة .

وقالت حسني: لقد تعبت، أفائنت مجبر على هبوط كل هذه السالم؟

كانت السلام رطبة ولا نهاية لها. والأمير الذي كان يعرف أنه لم يقدر، أن جده لا يمكن حشره داخل وعاء ما، وأن فخر النساء... يهبط وبهبط كل هذه السلام، يصل من كل هذه السلام إلى تلك الدهاليز الرطبة وذلك السرداد الرطب الزمهرير وإلى الملاعة والدم وإلى تينك العينين المحدقتين اللتين كانتا موجودتين وغير موجودتين .

المؤلف في سطور

هُوشتنگ گلشیری

ولد في أصفهان - التي يسميها الإيرانيون بـ "نصف الدنيا" ، والتي كانت عاصمة بلادهم على أيام الصفويين - سنة ١٩٣٧ .

احترف التدريس ، وأصدر في سنة ١٩٦٨ أول مجموعاته القصصية باسم "مثل هميشه"^(١) ، التي دلت على أنه من أنصار أسلوب ابن مدنته ، الكاتب بهرام صادقى . وكان قبل ذلك يكتب الشعر ، لكن نجاحه في كتابة القصة يصير سبباً في أن يضع كتابة الشعر جانباً إلى الأبد .

أصدر بعد ذلك رواية "شازده احتجاب"^(٢) ، التي وسع فيها تجديدات كتابه الأول ، ومنحه رسمية كونه تجربة لأسلوب خاص في دائرة اللغة الفارسية ، الأسلوب الذي يعرف في الغرب بـ "الجريان السائل للذهن" . وقد صنع من تلك الرواية في الوقت نفسه فيلم سينمائي زاد شهرة الكتاب وكانتبه.

إن الأمير احتجاب رواية ذهنية وكابوسية للمتبقي الأخير من طبقة أشراف ينتظر - وقد تعب من عبء الجور والظلم والجريمة لسنوات طوال - زواله القطعي .

أصدر بعد ذلك روايتي "كريستين وكيد" و"برهه گمشده راعی"^(٣) ، اللتين لم تحظيا بنجاح روايته الأولى .

وكانت روايتها "آینه های دردار"^(٤) ، و"جن نامه"^(٥) هما رواياته التالية . تحكي أولاهما ، على مستويين ، طفولة الرواوى وشبابه ، بما فى ذلك حبه لجارته التى يتزوجها شخص يتضح أنه لا يحبها ، ثم حاضره

وهو في جولة أدبية خارج إيران ، تبدو استعداداته للعودة إليها غير مقنعة.

وبالنظر لموضوع الثانية ، لم تستطع الفوز بمجوز الطبع مما حملت كاتبها على نشرها خارج إيران.

ومن أعماله الأخرى مجموعتا "نماز خانه گوچک من"^(٦) و "دست تاریک ، دست روشن"^(٧) ، و سیناریو "دوازده رخ"^(٨).

كان فعالاً جداً دائمًا في إدارة المنشورات الأدبية و دروس الكتابة القصصية ، وقد ترك أثراً أسلوبه و تعليماته في جيل من الكتاب.

كان في العقد الأخير أو العقدين الأخيرين من حياته من الوجوه الفعالة في النضال ضد الرقابة ، وجاحد من أجل بعث "مركز كتاب إيران" ، مما رشحه للأغتيال في حملة القتل المسلسل للأدباء والنشطاء في مجال حقوق الإنسان أواخر القرن العشرين.

وقد ذكر أكثر من مرة كمرشح لجائزة نوبل في الأدب.
بوفاته غير المتوقعة في صيف سنة ٢٠٠٠ ، فقد الأدب الإيراني المعاصر واحداً من وجهه الأصلية.

(١) كما دائمًا.

(٢) الأمير احتجاب.

(٣) الحمل الفعال للراعي.

(٤) المرايا ذات الأبواب.

(٥) كتاب ، أو: مكتوب ، الجن.

(٦) مصلائى الصغير.

(٧) يد مظلمة ، يد متيرة.

(٨) إثنا عشر رخا.

المترجم في سطور

سليم عبد الأمير حمدان

ولد سنة ١٩٤٠ في مدينة الكاظمية ، شمال العاصمة العراقية بغداد ، وفيها أتم دراسته الابتدائية والإعدادية.

أثناء دراسته الجامعية ترجم مادة نقاش نظرية نشرتها مجلة "الثقافة الجديدة" - وهي أرقى مجلة ثقافية فكرية عراقية آنذاك - مما شجعه على ترجمة كتاب "فوضوية أم اشتراكية" ، الذي يعده كثيرون عمل ستالين الفكري الوحيد ذي القيمة. لم تنشر الترجمة نظراً للموقف العام تجاه ستالين ، ولكنها أهلت المترجم للاشتغال محرراً للأخبار الخارجية في جريدة "اتحاد الشعب" التي كانت تصدر في بغداد آنذاك. درس في قسم اللغة العربية في كلية أداب جامعة بغداد ، وتخرج منها سنة ١٩٦١ .

اختار وترجم عدداً من قصص مارك توين ، اختار لها اسم "مذكرات آدم وحواء وقصص أخرى" ، نشرتها له دار الفارابي في لبنان نحو منتصف السبعينيات ، وفي الفترة ذاتها عمل محرراً للشؤون الخارجية في يومية "طريق الشعب" ، التي ورثت "اتحاد الشعب".

ترجم روايتي "قصة جاويد" و"آلام سياوش" للكاتب الإيرلندي إسماعيل فصيح ، ونشرهما له المجلس الأعلى للثقافة والنشر في مصر تحت العدددين ١٨٠ و٣٩٥ ، من سلسلة المشروع القومي للترجمة ، ونشرت له "دار المدى" في دمشق ترجمته لـ "نداء البداءة" لجاك لندن

سنة ٢٠٠٢ ، و"مكان سلوج الخالى" لمحمود دولت آبادى سنة ٢٠٠٣ ،
ثم "كأس من ذهب" لجون شتاينبك سنة ٢٠٠٣ .

له عدد آخر من الترجمات التى ستتصدر عن المجلس ذاته ، وعن
دار المدى ، وعن وزارة الثقافة السورية التى ستنشر له أيضاً دراسة
مكتوبة عن الرواية الفارسية .

إضافة إلى كتابته الدراسات والمقالات الفكرية والسياسية ، فقد
كتب مقدمات لعدد من الكتب أيضاً .

حرر - مدة - مجلتي "المدى" و"النهج" الصادرتين فى دمشق.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمدًا المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركبة الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المתרגمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القوافي للترجمة

- | | |
|----|-----------------------------------|
| ١ | اللغة العليا |
| ٢ | الوثنية والإسلام (٦١) |
| ٣ | الترااث المسروق |
| ٤ | كيف تم كتابة الاسيناريو |
| ٥ | ثريا في غيبوبة |
| ٦ | اتجاهات البحث اللسانى |
| ٧ | العلوم الإنسانية والفلسفة |
| ٨ | مشعلو الحرائق |
| ٩ | التغيرات البينية |
| ١٠ | خطاب الحكاية |
| ١١ | مختارات |
| ١٢ | طريق الحرير |
| ١٣ | بيانة الساميين |
| ١٤ | التحليل النفسي للأدب |
| ١٥ | الحركات الفنية |
| ١٦ | اثنيّة السوداء (جا) |
| ١٧ | مختارات |
| ١٨ | الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية |
| ١٩ | الأعمال الشعرية الكاملة |
| ٢٠ | قصة الطم |
| ٢١ | خوقة وألف خوقة |
| ٢٢ | ذكريات رحالة من المصريين |
| ٢٣ | تجلي الجميل |
| ٢٤ | ظلل المستقبل |
| ٢٥ | مثنوي |
| ٢٦ | دين مصر العام |
| ٢٧ | التنوع البشري الخلق |
| ٢٨ | رسالة في التسامح |
| ٢٩ | الموت والوجود |
| ٣٠ | الوثنية والإسلام (٦٢) |
| ٣١ | مصالحة دراسة التاريخ الإسلامي |
| ٣٢ | الانقراض |
| ٣٣ | التاريخ الاقصادي لأفريقيا الغربية |
| ٣٤ | الرواية العربية |
| ٣٥ | الأساطير والحدائق |
| ٣٦ | نظريات السرد الحديثة |
| ٣٧ | واحة سبيوة وموسيقاها |
- جون كريون
ك. مادهو بانيكار
جورج جيمس
انجا كاريكتوكفا
إسماعيل فصيح
ميلكا إيفيتشر
لوسيان غولدمان
ماكس فريش
أندرو. س. جودي
چيرار چينيت
فيساوا شيمبوريسكا
ديفيد براونستون وايرين فرانك
روبرتسن سميث
جان بيلمان نوبل
إيوارد لويس سميث
مارتن برتال
فيليپ لاركن
مخارات
چورج سفيريس
ج. كراوثر
صمد بورنجي
جون أنتيس
هانز جيورج جادامر
باتريك بارندر
مولانا جلال الدين الرومي
محمد حسين هيكل
مقالات
جون لوك
جيمس ب. كارس
ك. مادهو بانيكار
جان سرفاجيه - كارد كاين
ديفيد روس
أ. ج. موكتز
روجر آن
بول . ب. ديسكون
والاس مارتون
بريجيت شيفر
ت : أحمد درويش
ت : أحمد فؤاد بلبع
ت : شوقي جلال
ت : أحمد الحضرى
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : سعد مصلوح وفقاء كامل فايد
ت : يوسف الانطكي
ت : مصطفى ماهر
ت : محمود محمد عاشور
ت : محمد معمتم وعد الجليل الأزدى وعمر حلى
ت : هناء عبد الفتاح
ديفيد براونستون وايرين فرانك
ت : عبد الوهاب علوب
ت : حسن المولى
ت : أشرف رفيق عفيفي
ت : يشرفه تحدى عثمان
ت : محمد مصطفى بدوى
ت : ملعت شاهين
ت : نعيم عطية
ت : يمنى طريف الغولى وبدوى عبد الفتاح
ت : ماجدة العانى
ت : سيد أحمد على الناصرى
ت : سعيد توفيق
ت : بكر عباس
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد محمد حسين هيكل
ت : نخبة
ت : منى أبو سنة
ت : بدر الدين
ت : أحمد فؤاد بلبع
ت : عبد المصطفى العلوانى عبد الوهاب علوب
ت : مصطفى إبراهيم فهمى
ت : أحمد فؤاد بلبع
ت : حصة إبراهيم المنيف
ت : خليل كلفت
ت : بول . ب. ديسكون
والاس مارتون
بريجيت شيفر

٢٨	نقد الحداثة
٢٩	الإغريق والحسد
٤٠	قصائد حب
٤١	ما بعد المركبة الأوروبية
٤٢	عالم ماك
٤٣	اللهب المزبور
٤٤	بعددة أصياف
٤٥	تراث المغرب
٤٦	عشرين قصيدة حب
٤٧	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)
٤٨	حضارة مصر الفرعونية
٤٩	الإسلام في البلقان
٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
٥١	مسار الرواية الإسبانية أمريكية
٥٢	العلاج النفسي التدعيوي
٥٣	الدراما والتعليم
٥٤	المفهوم الإغريقي للمسرح
٥٥	ماء راء العلم
٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)
٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)
٥٨	مسرحيات
٥٩	الحبرة (مسرحية)
٦٠	التصميم والشكل
٦١	موسوعة علم الإنسان
٦٢	لذة النص
٦٣	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)
٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)
٦٥	في مدخل الكسل ومقالات أخرى
٦٦	خمس مسرحيات أندلسية
٦٧	مختارات
٦٨	تناثرا العجون وقصص أخرى
٦٩	العلم الإسلامي في أولى القرن العشرين
٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمي
٧٢	السياسي العجوز
٧٣	نقد استجابة القارئ
٧٤	صلاح الدين والماليك في مصر
٧٥	فن التراث والمسير الذاتية
	آلن تورين
	بيتر والكت
	آن سكستون
	بيتر جران
	بنجامين بارير
	أوكافيرو پاث
	آللوس هكسلي
	روبرت ج دانيا - جون ف آفaine
	ت : أحمد محمود
	ت : محمود السيد على
	بابلو نيرودا
	رينيه ويليك
	فرانسوا نوما
	هـ . ت : نوريس
	نورجر بيل
	أ . فـ . النجتون
	جـ . مايكل والتون
	جون بولكتجهوم
	فديريكو غرسية لوركا
	فديريكو غرسية لوركا
	فديريكو غرسية لوركا
	كارلوس موتيث
	جوهانز إيتين
	شارلوت سيمور - سميث
	رولان بارت
	رينيه ويليك
	آلان وود
	برتراند راسل
	أنطونيو جالا
	فرناندو بيسوا
	فالنتين رابسيوتين
	عبد الوشيد إبراهيم
	أوكينيرو تشانج روبيجوت
	داريو فو
	ت . س . إليوت
	چين . ب . توميكزن
	ل . ا . سيمينوفا
	أندريه موروا
	ت : أنور مغيث
	ت : منيرة كروان
	ت : محمد عبد إبراهيم
	ت : عاطف عبد إبراهيم فتحى ومحمود ماجد
	ت : أحمد محمود
	ت : المهدى أخرى
	ت : مارلين تادرس
	روبرت ج دانيا - جون ف آفaine
	ت : أحمد محمود
	ت : محمود السيد على
	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
	ت : ماهر جويباتى
	ت : عبد الوهاب علوب
	جمال الدين بن الشیخ
	داريو بياتونى وخـ . مـ . بـ . بـ . يـ .
	بـ . نـ . فـ . لـ . يـ . وـ . روـ . جـ . سـ . يـ . فـ . يـ .
	داريو بياتونى وخـ . مـ . بـ . بـ . يـ .
	ت : محمد أبو العطا
	ت : نوناليس وسـ . روـ . جـ . سـ . يـ . فـ .
	ت : الطفى فليم وعادل دمرداش

٧٦	چاك لاكان وإنفاذ التطليل النفسي
٧٧	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)
٧٨	العزلة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
٧٩	شعرية التأليف
٨٠	بوشكين عند «نافورة الموع»
٨١	الجماعات التخلفية
٨٢	مسرح ميجيل
٨٣	مخترارات
٨٤	موسوعة الأدب والنقد
٨٥	منصور الحاج (مسرحية)
٨٦	طول الليل
٨٧	نون والنقم
٨٨	الابتلاء بالتفرب
٨٩	الطريق الثالث
٩٠	وسم السيف
٩١	المسرح والتجربة بين النظرية والتطبيق
٩٢	أساليب ومقاصم المسرح الإسباني أمريكي كارلوس ميجيل
	المعاصر
٩٣	محديث العزلة
٩٤	الحب الأول والمحسبة
٩٥	مخترارات من المسرح الإسباني
٩٦	ثلاث زنبقات ووردة
٩٧	هوية فرنسا (مـ١)
٩٨	الهم الإنساني والإبتذال الصهيوني
٩٩	تاريخ السينما العالمية
١٠٠	مساحة العزلة
١٠١	النص الروائي (تقنيات ومناهج)
١٠٢	السياسة والتسامح
١٠٣	عبد الكريم الخطيب
١٠٤	قبر ابن عربي يليه أيام
١٠٥	أوبريرا ماهوجنى
١٠٦	مدخل إلى النص الجامع
١٠٧	ماريا خيسوس روبيرامنتي
١٠٨	الأدب الاندلسي
١٠٩	صورة الفداوى في الشعر الأندلسي المعاصر نخبة
١١٠	ثلاث دراسات عن الشعر الاندلسي مجموعة من النقاد
١١١	حروب المياه
١١٢	النساء في العالم النامي
١١٣	المرأة والجريمة
١١٤	الاحتجاج الهايدى
١١٥	رواية التمرد
	مجموعة من الكتاب
	ريتبه وبليك
	رونالد روبرتسون
	بوريس أوسبنستكي
	الاكتسندر بوشكين
	بندركت أندرسن
	ميجيل دي أونامونو
	غوتفرید بن
	مجموعة من الكتاب
	صلاح زكى أقطاى
	جمال مير مصادقى
	جلال آل أحد
	جلال آل محمد
	أنتونى جينتر
	مigel دي ثرياش
	المسرح والتجربة بين النظرية والتطبيق
	أساليب ومقاصم المسرح الإسباني أمريكي كارلوس ميجيل
	المعاصر
	مايك فيدرستون وسكوت لاش
	صمويل بيكيت
	أنطونيو بوريلو بايسخو
	قصص مختارة
	فنان برودل
	نخبة
	ديفيد روبيسون
	بول هيرست وجراهام تومبسون
	بيترار فاليط
	عبد الوهاب المؤدب
	برتولت بريشت
	جيباريجينيت
	ماريا خيسوس روبيرامنتي
	شون بولوك وعادل درويش
	حسنے بیجوم
	فرانسيس هیندرسون
	ارلين على ماكلينود
	سادى پلانت
	ت : عبد المقصود عبد الكريم
	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
	ت : أحمد محمود ونورا أمين
	ت : سعيد القائمى وناصر حلاوى
	ت : مكارم الفخرى
	ت : محمد طارق الشرقاوى
	ت : محمود السيد على
	ت : خالد العالى
	ت : عبد الحميد شحنة
	ت : عبد الوارزق بركات
	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
	ت : ماجدة العنانى
	ت : إبراهيم النسوى شتا
	ت : أحمد زايد ومحمد محى الدين
	ت : محمد إبراهيم مبروك
	ت : محمد هناء عبد الفتاح
	ت : نادية جمال الدين
	ت : عبد الوهاب علوب
	ت : فوزية المشماوى
	ت : سرى محمد عبد الطيف
	ت : إدوار الفرات
	ت : بشير السباعى
	ت : أشرف الصباىغ
	ت : إبراهيم قديل
	ت : إبراهيم فتحى
	ت : إبراهيم بنحدو
	ت : عز الدين الكاتانى الإندىسى
	ت : محمد بنينس
	ت : عبد الفقار مكارى
	ت : عبد العزيز شبيل
	ت : أشرف على دعادر
	ت : محمد عبد الله الجعدي
	ت : محمود على مكى
	ت : هاشم أحمد محمد
	ت : متى قطان
	ت : ريهام حسن إبراهيم
	ت : إكرام يوسف
	ت : أحمد حسان

- ١١٤ مسرحيتنا حصاد كونجي وسكان المستنقع وول شوبينكا
- ١١٥ غرفة تخمر الماء وحده
- ١١٦ فرجينيا وولف
- ١١٧ سينثيا تلسون امرأة مختلفة (دوره شقيق)
- ١١٨ ليلي أحمد المرأة والجنوسية في الإسلام
- ١١٩ بث بارون النهمة النسائية في مصر
- ١٢٠ أميرة الأزهري سنيل النساء والأسرة وقوانين الطلاق
- ١٢١ ليليان أبو لندن الحركة النسائية والتطرّف في الشرق الأوسط
- ١٢٢ فاطمة موسى الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات
- ١٢٣ جوزيف فوجت نظام العربية القديم ونouج الإنسان
- ١٢٤ نينيل ألكسندر وفنادولينا الإمبراطورية المشائية وعلاقاتها الدولية
- ١٢٤ الضرج الكائب
- ١٢٥ سيدريك ثورب ديشي التحليل الموسيقي
- ١٢٦ جون جراي فعل القراءة
- ١٢٧ إرهاب فولانج إيسير
- ١٢٨ الأدب المقارن صفاء فتحى
- ١٢٩ سوزان باستينت ماريا لوبيوس أسيس جاروته الرواية الإسبانية المعاصرة
- ١٣٠ أندريه جوندر فرانك الشرق يتصعد ثانية
- ١٣١ مجموعة من المؤلفين مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)
- ١٣٢ مايل فيندرستون ثقافة العولمة
- ١٣٣ طارق على الخوف من المرايا
- ١٣٤ تشريع حضارة بارى ج. كيمب
- ١٣٥ ت. س. إليوت المختار من نقد ت. س. إليوت
- ١٣٦ فلاحو الباشا كينيث كونو
- ١٣٧ مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية جوزيف ماري مواري
- ١٣٨ إيفلينا تاروني عالم التليزيون بين الجمال والعنف
- ١٣٩ بارسيفال ريشارد فاجنر
- ١٤٠ حيث تلقي الأنهر
- ١٤١ إلانتا عشرة مسرحية يونانية
- ١٤٢ الإسكندرية: تاريخ ودليل قضايا التقطير في البحث الاجتماعي
- ١٤٣ نيريك لايدار حيث تلقي الأنهر
- ١٤٤ مساحة الوكائنة
- ١٤٥ كارلو جولدوني موت أرتيميو كرووث
- ١٤٦ كارلوس فويتون الورقة الحمراء
- ١٤٧ تانكريدي دورست خطبة الإدانة الطويلة
- ١٤٨ إبراهيكي أندرسون إمبرت القصة القصيرة (النظريّة والتقدمة)
- ١٤٩ نظرية الشعرية عند إليوت وأنطونيس
- ١٥٠ روبيت ج. ليتان التجربة الإغريقية
- ١٥١ فرنان برويل هوية فرنسا (مج ٢، ج ١)
- ١٥٢ نخبة من الكتاب عدالة الجنود وقصص أخرى
- ت : نسيم مجلبي
- ت : سمية رمضان
- ت : نهاد أحمد سالم
- ت : مني إبراهيم وهالة كمال
- ت : ليس النقاش
- ت بإشرافه: روف عباس
- ت : نخبة من المترجمين
- ت : محمد الجندي وإيزابيل كمال
- ت : منيرة كروان
- ت : أنور محمد إبراهيم
- ت : أحمد فؤاد بلبع
- ت : سمية الغولي
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : بشير السباعي
- ت : أميرة حسن ثوربة
- ت : محمد أبو العطا وأخرين
- ت : شوقي جلال
- ت : لويس بقطر
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : طلعت الشايب
- ت : أحمد محمود
- ت : ماهر شفيق فريد
- ت : سحر توفيق
- ت : كاميليا صبحي
- ت : وجيه سمعان عبد المسيح
- ت : مصطفى ماهر
- ت : أمل الجبريري
- ت : نعيم عطية
- ت : حسن بيومي
- ت : عدنى السمرى
- ت : سلامة محمد سليمان
- ت : أحمد حسان
- ت : على عبدالرؤوف الببلي
- ت : عبد الففار مكاوى
- ت : على إبراهيم متوفى
- ت : أسامة إسبر
- ت : منيرة كروان
- ت : بشير السباعي
- ت : محمد محمد الخطابي

ت : فاطمة عبدالله محمود	فيولين فاتوبل	١٥٣ غرام الفراخة
ت : خليل كافت	فيل سليتر	١٥٤ مدرسة فرانكفورت
ت : أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	١٥٥ الشعر الامريكي المعاصر
ت : من التمسانى	جي آنباي والآن وألوبيت ثيرمو	١٥٦ المدارس الجمالية الكبرى
ت : عبد العزيز بقوش	النظاوى الكونجى	١٥٧ خسر وشبرين
ت : بشير السباعى	فرنان برودل	١٥٨ هوية فرنسا (مع ٢ ج)
ت: إبراهيم فتحى	ديفيد هوكس	١٥٩ الإيديولوجية
ت: حسين بيومى	بول إيريلش	١٦٠ آلة الطبيعة
ت: زيдан عبدالطيم زيدان	البخاندرو كاسوتا وأنطونيو جالا	١٦١ من السحر الإسبانى
ت: صلاح عبد العزيز مجحوب	يوحنا الأسيوي	١٦٢ تاريخ الكنيسة
ت بإشراف: محمد الجوهرى	جوردن مارشال	١٦٣ موسوعة علم الاجتماع
ت: نبيل سعد	چان لاكتير	١٦٤ شامبوليون (حياة من نور)
ت: سهير المصادفة	أ. ن. أفالانا سيفا	١٦٥ حكايات الطلب
ت: محمد محمود أبو غدير	يشعاعهو ليثمان	١٦٦ العلاقات بين التينيين والطمانين فى إسرائيل
ت: شكرى محمد عياد	رابيدراتات طاغور	١٦٧ فى عالم طاغور
ت: شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	١٦٨ دراسات فى الأدب والثقافة
ت: شكرى محمد عياد	مجموعة من المبدعين	١٦٩ إبداعات أدبية
ت: بسام ياسين رشيد.	ميغيل دليبيس	١٧٠ الطريق
ت: هدى حسين	فرانز بيجو	١٧١ وضع حد
ت: محمد محمد الخطابى	مختارات	١٧٢ حجر الشمس
ت: إمام عبد الفتاح إمام	ولتر. ستيس	١٧٣ معنى الجمال
ت: أحمد محمود	إليس كاشمور	١٧٤ صناعة الثقافة السوداء
ت: وجيه سمعان عبد المسيح	لوريزو فيلاش	١٧٥ التقىزيون فى الحياة اليونية
ت: جلال البنا	توم تيتبرج	١٧٦ نحو مفهوم للإقليميات البيئية
ت: حصة إبراهيم المنيف	هنرى تروايا	١٧٧ أنطون تشيكوف
ت: محمد حمدى إبراهيم	نخبة من الشعراء	١٧٨ مختارات من الشعر اليونانى الحديث
ت: إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	١٧٩ حكايات أيسوب
ت: سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	١٨٠ قصة جايد
ت: محمد يحيى	فنست. ب. لينتش	١٨١ النقد الأدبي الأمريكى
ت: ياسين طه حافظ	وب. بيتش	١٨٢ العنف والتربمة
ت: فتحى العشري	رينى چيلسون	١٨٣ جان كوكوت على شاشة السينما
ت: سوسوقى سعيد	هائز إيندورفر	١٨٤ القاهرة... حالة لا تمام
ت: عبد الوهاب علوب	تمهاس تومن	١٨٥ أسفار العهد القديم
ت: إمام عبد الفتاح إمام	ميغانيل إنورود	١٨٦ معجم مصطلحات فيجل
ت: محمد علاء الدين منصور	بُذُّج على	١٨٧ الأرضة
ت: بدر الدبيب	القين كرمان	١٨٨ موت الأدب
ت: سعيد الفانى	پول دي مان	١٨٩ العلم والبصرة
ت: محسن سيد فرجانى	كونغشيوس	١٩٠ محاربات كونغشيوس
ت: مصطفى حجازى السيد	الماج أبو بكر إمام	١٩١ الكلام وأعمال

- ١٩٢ سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)
- ١٩٣ عامل النجم
- ١٩٤ مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي
- ١٩٥ شتاء ٨٤
- ١٩٦ الملة الأخيرة
- ١٩٧ الفاروق
- ١٩٨ الاتصال الجماهيري
- ١٩٩ تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية
- ٢٠٠ ضحايا التنمية
- ٢٠١ الجانب البيني للنفسة
- ٢٠٢ تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٤)
- ٢٠٣ الشعر والشاعرية
- ٢٠٤ تاريخ نقد المهد القديم
- ٢٠٥ الجنات والشعوب واللغات
- ٢٠٦ البيولية تصنع علمًا جديداً
- ٢٠٧ ليل أفريقي
- ٢٠٨ شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي
- ٢٠٩ السرد والمسرح
- ٢١٠ مثويات حكيم سنائي
- ٢١١ فريديان دوسوسينير
- ٢١٢ قصصن الأمير مزيان
- ٢١٣ مصر منذ قسم تايلين حتى رحيل عبد الناصر
- ٢١٤ قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع
- ٢١٥ سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)
- ٢١٦ جانب آخرى من حياتهم
- ٢١٧ مسرحيتان طليبيتان
- ٢١٨ لعبة الحجلة (رايو لا)
- ٢١٩ بقايا اليوم
- ٢٢٠ البيولية في الكفن
- ٢٢١ شعرية كرافى
- ٢٢٢ فرانز كافكا
- ٢٢٣ العلم في مجتمع حر
- ٢٢٤ نمار يوغسلافيا
- ٢٢٥ حكاية غريق
- ٢٢٦ أرض المساء وقصائد أخرى
- ٢٢٧ المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
- ٢٢٨ علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
- ٢٢٩ ملوك البطل الوحيد
- ٢٣٠ عن النباب والفتوان والبشر
- زن العابدين الراغي
- بيتر أبراهم
- مجموعة من النقاد
- إسماعيل فصيع
- فالتن راسبوتين
- شمس العلماء شبلن التعمانى
- ادون إمرى وأخرين
- يعقوب لانداوى
- جيريمى سيرورك
- جوزايا رويس
- ريتني وليلك
- ألطاف حسين حالى
- رالمان شازار
- لوبيجي لوكا كافاللى - سفورزا
- جيمس جارلاك
- رامون خوتاستدير
- دان أوريان
- مجموعة من المؤلفين
- ستانلى الغزوى
- جوناثان كلر
- مزيان بن رستم بن شروين
- ريمون فلاور
- أنتونى جيدنز
- زن العابدين الراغي
- مجموعة من المؤلفين
- ص. بيكت
- خوليوكوتزان
- كارو ايشجورو
- بارى باركر
- جيوجري جوزانيس
- رونالد جراى
- بول فريابر
- برانكا هاجاس
- جايريل جارثيا ماركت
- ديفيد هريت لوانس
- موسى مارديا ديف بوركى
- جانيث روالف
- نورمان كيجان
- فرانسوان جاكوب
- ت: محمود سلامة علوى
- ت: محمد عبد الواحد محمد
- ت: ماهر شفيق فريد
- ت: محمد علاء الدين منصور
- ت: أشرف الصباغ
- ت: جلال السعيد الحنفى
- ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
- ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
- ت: فخرى لبيب
- ت: أحمد الانصارى
- ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت: جلال السعيد الحنفى
- ت: أحمد محمود هويدى
- ت: أحمد مستجير
- ت: على يوسف على
- ت: محمد أبو العطا
- ت: محمد أحمد صالح
- ت: أشرف الصباغ
- ت: يوسف عبد الفتاح فرج
- ت: محمود حمدى عبد الفتى
- ت: يوسف عبد الفتاح فرج
- ت: سيد أحمد على الناصري
- ت: محمد محمود محى الدين
- ت: محمود سلامة علوى
- ت: أشرف الصباغ
- ت: نادية البنهاوى
- ت: على إبراهيم متوفى
- ت: طلت الشايب
- ت: على يوسف على
- ت: رفعت سلام
- ت: نسيم مجلى
- ت: السيد محمد نفادى
- ت: منى عبد الظاهر إبراهيم
- ت: السيد عبد الظاهر السيد
- ت: طاهر محمد على البررى
- ت: السيد عبد الظاهر عبدالله
- ت: ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
- ت: أمير إبراهيم العمري
- ت: مصطفى إبراهيم فهمى

- ٢٣١ الدرايفيل
 ٢٣٢ ما بعد المعلومات
 ٢٣٣ فكرة الأضمحلال
 ٢٣٤ الإسلام في السودان
 ٢٣٥ بيوان شمس تبريزى (ج١)
 ٢٣٦ الولاية
 ٢٣٧ مصر أرض الوادى
 ٢٣٨ المعلولة والتحرير
 ٢٣٩ العربي في الأدب الإسرائيلي
 ٢٤٠ الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
 ٢٤١ في انتظار البرابرة
 ٢٤٢ سبعة أنماط من الفوضى
 ٢٤٣ تاريخ إسبانيا الإسلامية (م١)
 ٢٤٤ الفلان
 ٢٤٥ نساء مقاتلات
 ٢٤٦ مختارات قصصية
 ٢٤٧ الثافة الجامايرية والحداثة في مصر
 ٢٤٨ حقول عن الخضراء
 ٢٤٩ لفة التمنق
 ٢٥٠ علم اجتماع العلوم
 ٢٥١ موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
 ٢٥٢ رائدات الحركة النسوية المصرية
 ٢٥٣ تاريخ مصر الفاطمية
 ٢٥٤ الفلستنة
 ٢٥٥ أفلامون
 ٢٥٦ ديكارت
 ٢٥٧ تاريخ الفلسفة الحديثة
 ٢٥٨ الغجر
 ٢٥٩ مختارات من الشعرالأرمني عبر العصور أقلام مختلفة
 ٢٦٠ موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
 ٢٦١ رحلة في فكر ركي تجيب محمد
 ٢٦٢ مدينة المعجزات
 ٢٦٣ الكشف عن حافة الزمن
 ٢٦٤ إبداعات شعرية متترجمة
 ٢٦٥ روايات مترجمة
 ٢٦٦ مدير المدرسة
 ٢٦٧ فن الرواية
 ٢٦٨ بيوان شمس تبريزى (ج٢)
 ٢٦٩ وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)
- ت: جمال عبد الرحمن
 ت: مصطفى إبراهيم فهوى
 ت: طلعت الشايب
 ت: فؤاد محمد عكود
 ت: إبراهيم السوقي شتا
 ت: أحمد الطيب
 ت: عزيزات حسين طلعت
 ت: ياسر محمد جاد الله وعريبي مدبوبي أحمد
 ت: نادية سليمان حافظ وليباب صلاح غاليق
 ت: صلاح عبد العزيز محجوب
 ت: ابتسام عبدالله سعيد
 ت: صبرى محمد حسن عبد الفتى
 ت: على عبدالرؤوف البىبى
 ت: نادية جمال الدين محمد
 ت: توقيف على منصور
 ت: على إبراهيم منوفى
 ت: محمد طارق الشرقاوى
 ت: عبداللطيف عبد العليم
 ت: رفعت سلام
 ت: ماجدة محسن أباظة
 ت: ياشراف: محمد الجوهري
 ت: على بدران
 ت: حسن بيومى
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: محمود سيد أحمد
 ت: عيادة كحيلة
 ت: فاروجان كازانجييان
 ت: ياشراف: محمد الجوهري
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: محمد أبو العطا
 ت: على يوسف على
 ت: لويس عوض
 ت: أوكار وايلد وسميث جونسون ت: لويس عوض
 ت: عادل عبد المنعم سويلم
 ت: بدر الدين عربى
 ت: إبراهيم السوقي شتا
 ت: صبرى محمد حسن
- خايمي سالوم بيدال
 توم ستينز
 آرثر هومان
 ج. سبنسر تريمنجهام
 مولانا جلال الدين الرومى
 ميشيل تود
 روبين فيرين
 الانكتار
 جيلانغر - رايون
 كامي حافظ
 ج. كويتز
 ولIAM إبسون
 ليفي برونسال
 لاورا إسكيبيل
 إليزابيتا آديس
 جابريلل جارثيا ماركت
 والتر إرمبروست
 أنطونيو جالا
 دراجو شاتميوك
 دومينيك فينيك
 جوردن مارشال
 مارجو بدران
 ل. أ. سيميونينا
 بيف روبيشنون وجودى جروفز
 بيف روبيشنون وجودى جروفز
 بيف روبيشنون وكريس جرات
 وليم كل رايت
 سير أنجوس فريزر
 جوردن مارشال
 زكى نجيب محمود
 إدوارد مندوثا
 جون جورين
 هوراس وشلى
 أوكار وايلد وسميث جونسون ت: لويس عوض
 جلال آن أحمد
 ميلان كوندира
 مولانا جلال الدين الرومى
 وليم چيفورد بالجريف

- ٢٧٠ وسط الجزير العربية وشرقاها (ج٢) وليم جيفور بالجريف
- ٢٧١ الحضارة الفريبية نوماس سى. باترسون
- ٢٧٢ الأدبية الأنثوية في مصر س. س. والتزد
- ٢٧٣ الاستثمار والثورة في الشرق الأوسط جوان آر. لوك
- ٢٧٤ السيدة باريارا رومولو جلاجوس
- ٢٧٥ ت. إسليوت شاعراً ونادقاً وكاتبًا مسرحيًا أقلام مختلفة
- ٢٧٦ فنون السينما فرانك جويتران
- ٢٧٧ القيّبات: الصراع من أجل الحياة بريان فورد
- ٢٧٨ الديابات إسحق عظيموف
- ٢٧٩ الحرب الباردة الثقافية فـس. سوندرز
- ٢٨٠ من الأب الهندى الحديث والمعاصر بريم شند وأخرين
- ٢٨١ الفردوس الأعلى مولانا عبد الحليم شير الكهنى
- ٢٨٢ طبيعة العلم غير الطبيعية لويس ولبريت
- ٢٨٣ السهل يحترق خوان روافو
- ٢٨٤ هرقل مجنوناً يوريبيدس
- ٢٨٥ رحلة الخواجة حسن نظامي حسن نظامي
- ٢٨٦ سياحة نامة إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغي
- ٢٨٧ الثقة والعملة والنظام العالمي انقوني كنج
- ٢٨٨ الفن الروائى ديفيد لودج
- ٢٨٩ ديوان منجوهري الدامقانى أبو نجم أحمد بن قوص
- ٢٩٠ علم اللغة والترجمة جورج مونان
- ٢٩١ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١) فرانشيسكو رويس دامون
- ٢٩٢ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢) فرانشيسكو رويس رامون
- ٢٩٣ مقدمة للأدب العربي روجر آلن
- ٢٩٤ فن الشعر بوالو
- ٢٩٥ سلطان الأسطورة جوزيف كامبل
- ٢٩٦ مكتب وليم شكسبير
- ٢٩٧ فن التموين بين اليونانية والسريانية بيونيسيوس ثراكتس ويوسف الأهواني
- ٢٩٨ مأساة العبيد أبو بكر تقوايلبيه
- ٢٩٩ ثورة في التكنولوجيا الحيوية جين ل. ماركس
- ٣٠٠ لسلدر بريشين في الأدب الإنجليزي والفرنسي (ج١) لويس عوض
- ٣٠١ لسلدر بريشين في الأدب الإنجليزي والفرنسي (ج٢) لويس عوض
- ٣٠٢ فنجلشتين جون هيتن وجودي جروفز
- ٣٠٣ بودا جين هوب وبوبن فان لون
- ٣٠٤ ماركس ريوس
- ٣٠٥ الجلد كروزنيو مالابارته
- ٣٠٦ الحماسة: النقد الكاتطي للتاريخ چان فرانسوا ليوتار
- ٣٠٧ الشعور بيغيد باينتو
- ٣٠٨ علم الوراثة ستيف جونز
- ت: صيرى محمد حسن
ت: شوقى جلال
ت: إبراهيم سلامة
ت: عنان الشهاوى
ت: محمود على مكى
ت: ماهر شفيق فريد
ت: عبد القادر التمسانى
ت: أحمد فوزى
ت: ظريف عبدالله
ت: طلعت الشايب
ت: سمير عبد الحميد
ت: جلال الحفناوى
ت: سمير حنا صادق
ت: على البعين
ت: أحمد عثمان
ت: سمير عبد الحميد
ت: محمود سلامة على
ت: محمد يحيى وأخرين
ت: ماهر البطوطى
ت: محمد نور الدين عبد المنعم
ت: أحمد زكريا إبراهيم
ت: السيد عبد الظاهر
ت: السيد عبد الظاهر
ت: نخبة من المترجمين
ت: وجاء ياقوت صالح
ت: بدر الدين حب الله الدبيب
ت: محمد مصطفى بدوى
ت: ماجدة محمد أنور
ت: مصطفى حجازى السيد
ت: هاشم أحمد فؤاد
ت: جمال الجزيري وبها، جاهين وإيزابيل كمال
ت: جمال الجزيري ومحمد الجندي
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: صلاح عبد المعبود
ت: نبيل سعد
ت: محمود محمد أحمد
ت: ممدوح عبد المنعم أحمد

٣٤٨	القصيدة الأولى في الأدب التركي (جـ)
٣٤٩	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة
٣٥٠	بانوراما الحياة السياسية
٣٥١	Miyadî المنطق
٣٥٢	قصائد من كفافيس
٣٥٣	الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة البندسية)
٣٥٤	الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة النباتية)
٣٥٥	التيارات السياسية في إيران
٣٥٦	الميراث المـ
٣٥٧	متون هيرميس
٣٥٨	أمثال البوسا العالمية
٣٥٩	محاورات بارمنيدس
٣٦٠	أثنتينولوجيا اللغة
٣٦١	التصحر: التهديد والمجابهة
٣٦٢	تملية باينيرج
٣٦٣	حركات التحرير الأفريقية
٣٦٤	حادثة شكسبيـر
٣٦٥	سام باريس
٣٦٦	نساء يركضن مع الثـاب
٣٦٧	القلم الجـريـه
٣٦٨	المصطلح السـردـي
٣٦٩	المرأة في أدب نجيب محفوظ
٣٧٠	الفن والحياة في مصر الفرعونية
٣٧١	القصيدة الأولى في الأدب التركي (جـ)
٣٧٢	ماش الشـباب
٣٧٣	كيف تـعد رسالة دكتـراه
٣٧٤	اليـم السادس
٣٧٥	الخلـود
٣٧٦	الغضب وأحلام السنـين
٣٧٧	تاريخ الأدب في إـیران (جـ)
٣٧٨	المسـافـر
٣٧٩	ملك في الحـديـقة
٣٨٠	الحديث عن الخـسـارة
٣٨١	أسـاسـياتـ اللـغـة
٣٨٢	تاريخ طـيرـستان
٣٨٣	هـيـةـ الحـجاز
٣٨٤	القصـصـ التي يـحـكـيـهاـ الـاطـفالـ
٣٨٥	مشـتـرىـ العـشـقـ
٣٨٦	نـقـاعـاـ عنـ التـارـيخـ الـآـبـيـ النـسـوـيـ

ت: بهاء جاهين	چون دن	٢٨٧ أغانيات وسوناتات
ت: محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨ مواعظ سعدى الشيرازى
ت: سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩ من الأدب الباكستاني المعاصر
ت: عثمان مصطفى عثمان	نخبة	٢٩٠ الأرشيفات والمدن الكبرى
ت: منى التربوي	مايف ببنشى	٢٩١ الحافة الملكية
ت: عبد الطالب عبد الحليم	نخبة	٢٩٢ مقامات ووسائل أندلسية
ت: زينب محمود الخضيري	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣ في قلب الشرق
ت: هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤ القوى الأربع الأساسية في الكون
ت: سليم حمدان	إسماعيل فتحى	٢٩٥ آلام سياوش
ت: محمود سالمة علارى	تقى نجاري راد	٢٩٦ السفاق
ت: إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين	٢٩٧ نيتشره
ت: إمام عبدالفتاح إمام	فليبي تودى	٢٩٨ سارتر
ت: إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش	٢٩٩ كامي
ت: باهر الجوهري	مشيائيل إنده	٤٠٠ مومو
ت: منصور عبد المنعم	زيانون ساربر	٤٠١ الرياضيات
ت: مصطفى عبد المنعم	ج. ب. ماك ايفوى	٤٠٢ هوكتج
ت: عمار حسن بكر	توبود شتوريه	٤٠٣ ربة المطر والملابس تصنع الناس
ت: ظلية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤ تعزيرة الحسى
ت: حمادة إبراهيم	أندرىه جيد	٤٠٥ إينازيل
ت: جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتشاريس	٤٠٦ المستعربون الإسبان في القرن ١٩
ت: طلعت شاهين	أقلام مختلفة	٤٠٧ الأدب الإسباني المعاصر بإقليم كتاب
ت: عنان الشهاوى	جوان فوتشركتج	٤٠٨ معجم تاريخ مصر
ت: إلهام عمارة	برتراند راسل	٤٠٩ انتصار السعادة
ت: الزواوى بغوره	كارل بور	٤١٠ خلاصة القرن
ت: أحمد مستجير	جيبيفر أكمان	٤١١ همس من الماضي
ت: نخبة	لافق بروفسال	٤١٢ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مح. ٢، ج. ٢)
ت: محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣ أغانيات المتنقى
ت: أمل الصبان	باسكال كازانوفا	٤١٤ الجمهورية العالمية للأداب
ت: أحمد كامل عبد الرحيم	فريديريش بوئناتيات	٤١٥ صورة كوكب
ت: مصطفى بيوى	أ. أ. رتشارذ	٤١٦ مبادى النقد الأدبي والعلم والشعر
ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد	روينيه ويليك	٤١٧ تاريخ النقد الأدبي الحديث (جهه)
ت: عبد الرحمن الشيخ	جين هاثوراى	٤١٨ سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية
ت: فسيم محلى	جون مایو	٤١٩ العصر النابلي للإسكندرية
ت: الطيب بن رجب	فولتير	٤٢٠ مكرر ميجاس
ت: أشرف محمد كيلانى	روى متعدد	٤٢١ الولاء والقيادة
ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم	نخبة	٤٢٢ رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج. ١)
ت: وحيد النقاش	نخبة	٤٢٣ إسراءات الرجل الطيف
ت: محمد علاء الدين منصور	نور الدين عبد الرحمن الجامى	٤٢٤ لوائح الحق ولوائح العشق
ت: محمود سالمة علارى	محمود طلوعى	٤٢٥ من طلوعى إلى فرح

٤٦٣	الخلفاقيش وقصص أخرى
٤٦٢	بانديراس الطاغية
٤٦١	الخزانة الخفية
٤٦٠	هيجل
٤٥٩	كانط
٤٥٨	فوكو
٤٥٧	ماكيافيلي
٤٥٦	جوس
٤٥٥	الرومانسية
٤٥٤	تجهات ما بعد الحداثة
٤٥٣	تاريخ الفلسفة (مج ١)
٤٥٢	رحلة هنري في بلاد الشرق
٤٥١	بطولات وضحايا
٤٥٠	موت المارابي
٤٤٩	قواعد اللهجات العربية
٤٤٨	رب الأشياء الصغيرة
٤٤٧	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)
٤٤٦	لغة العربية
٤٤٤	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة
٤٤٥	حول وزن الشعر
٤٤٦	التحالف الأسود
٤٤٧	نظريّة الكلم
٤٤٨	علم نفس النظرو
٤٤٩	الحركة النسائية
٤٤٠	ما بعد المرأة النسائية
٤٤١	الفلسفة الشرقية
٤٤٢	لينين والثورة الروسية
٤٤٣	القاهرة: إقامة مدينة حديثة
٤٤٤	خمسون عاماً من السينما الفرنسية
٤٤٥	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٩)
٤٤٦	لا تنسني
٤٤٧	النساء في الفكر السياسي الغربي
٤٤٨	الموريسيكين الأندلسيون
٤٤٩	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية قم تبتبرج
٤٥٠	الفاشية والنازية
٤٥١	لآخر
٤٥٢	ستورارت هود وليتزا جانستز
٤٥٣	داريان ليبر وجودي جروفز
٤٥٤	طه حسين من الأزهر إلى السوريون
٤٥٥	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٥٦	وليام بلو
٤٥٧	ميكانيل بارنتى
٤٥٨	الدولة المارقة
٤٥٩	ديمقراطية القلة
٤٥٠	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٥١	ت: ثريا شلبى
٤٥٢	محمد هوتك
٤٥٣	ليود سبنسر وأندرزنجى كيرز
٤٥٤	كرستوفر وات وأندرزنجى كليموفسكي
٤٥٥	كريس هيروكس دنفردان جفتوك
٤٥٦	باتريك كيرى وأوسكار زاريت
٤٥٧	ديفيد نوريس وكارل فلت
٤٥٨	دونكان هيث وجودن بورهام
٤٥٩	نيكولاوس نيريج
٤٤٠	فريديرك كوليستون
٤٤١	شيلبي النعاني
٤٤٢	إيمان ضياء الدين بيبرس
٤٤٣	صدر الدين عيّنى
٤٤٤	كرستن بروستاد
٤٤٥	أونداتشى ندى
٤٤٦	فوزيye أسعد
٤٤٧	كيس فرسنيغ
٤٤٨	لارييت سيجورنه
٤٤٩	پرويز نائل خانلىرى
٤٤٠	الكسندر كوكبن وجييفى سانت كلير
٤٤١	تمدوح عبد المنعم
٤٤٢	ج. پ. مال إيفى
٤٤٣	ديلان إيقانز وأوسكار زاريت
٤٤٤	نخبة
٤٤٥	صوفيا فوكا وريبيكا رايت
٤٤٦	ريتشارد إيجاناتز وأوسكار زاريت
٤٤٧	جان لوك أرنو
٤٤٨	فرديرك كوليستون
٤٤٩	مريم جعفرى
٤٤٠	سوزان مولر أوكين
٤٤١	خواين كارو باروخا
٤٤٢	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٤٣	وليام بلو
٤٤٤	ميكانيل بارنتى

- ٤٦٥ قصص اليهود
 ٤٦٦ حكايات حب وبطولات فرعونية
 ٤٦٧ التفكير السياسي
 ٤٦٨ روح الفلسفة الحديثة
 ٤٦٩ جلال الملوك
 ٤٧٠ الأرض والجودة البيئية
 ٤٧١ رحلة استكشاف أفريقيا (ج٢)
 ٤٧٢ دون كيخوتي (القسم الأول)
 ٤٧٣ دون كيخوتي (القسم الثاني)
 ٤٧٤ الأدب والنسوية
 ٤٧٥ صوت مصر: أم كلثوم
 ٤٧٦ أرض الحباب بعيدة: بيرم التونسي ماريبلين بوت
 ٤٧٧ تاريخ الصين
 ٤٧٨ الصين والولايات المتحدة ليو شيه شنج ولி شى دونج
 ٤٧٩ المقهى (مسرحية مبنية) لاوش
 ٤٨٠ تسلي ون جي (مسرحية مبنية) كومورا
 ٤٨١ عباءة النبي
 ٤٨٢ منسوبة الأساطير والرموز الفرعونية روبير جاك تيرير
 ٤٨٣ النسوية وما بعد النسوية سارة جاميل
 ٤٨٤ جمالية الثقل
 ٤٨٥ التربية (رواية)
 ٤٨٦ذاكرة الحضارية
 ٤٨٧ الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية رفيع الدين المراد أبيادي
 ٤٨٨ الحب الذي كان وقصائد أخرى
 ٤٨٩ فُرسُل: الفلسفة علمًا بدقائق
 ٤٩٠ أسمار البيضاء
 ٤٩١ نصوص قصصية من رواية الألب الأفريقي
 ٤٩٢ محمد على مؤسس مصر الحديثة جي فالجييت
 ٤٩٣ خطابات إلى طالب المصوّبات هارولد بالمر
 ٤٩٤ كتاب الموتى (الفرج في النها) نصوص مصرية قديمة
 ٤٩٥ اللوي
 ٤٩٦ الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١) إيكوانو يانولي
 ٤٩٧ العطانية والترع والرواية في الشرق الأوسط نادية العلي
 ٤٩٨ النساء والتوع في الشرق الأوسط الحديث جوبيث تاكر وماجريت مريونيز
 ٤٩٩ تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس
 ٥٠٠ في طفولتي (دراسة في السيرة الثانية العربية) تيزن ديفوكى
 ٥٠١ تاريخ النساء في الغرب آرثر جولد هامر
 ٥٠٢ أصوات بديلة
 ٥٠٣ مفتارات من الشعر الفارسي الحديث نخبة
- ت: جمال الرفاعي
 ت: فاطمة محمود
 ت: رباع وهبة
 ت: أحمد الاتصاري
 ت: مجدى عبدالرازق
 ت: محمد السيد الفتنة
 ت: عبد الله عبد الرانق إبراهيم
 ت: سليمان العطار
 ت: سليمان العطار
 ت: سهام عبدالسلام
 ت: عادل هلل عنانى
 ت: سحر توفيق
 ت: أشرف كيلاني
 ت: عبد العزيز حمدى
 ت: عبد العزيز حمدى
 ت: عبد العزيز حمدى
 ت: رضوان السيد
 ت: فاطمة محمود
 ت: أحمد الشامي
 ت: رشيد ينحو
 ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت: عبد الحليم عبد الغنى رجب
 ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت: محمود رجب
 ت: عبد الوهاب علوى
 ت: سمير عبد ربه
 ت: محمد رفعت عواد
 ت: محمد صالح الصالع
 ت: شريف الصيفى
 ت: حسن عبد ربه المصرى
 ت: نخبة
 ت: مصطفى رياض
 ت: أحمد على بدوى
 ت: فيصل بن خسروه
 ت: طلت الشايب
 ت: سحر فراج
 ت: هالة كمال
 ت: محمد ثور الدين عبد المتمم
- لويس جنزيرج
 فيولين فانوريك
 ستيفن ديلو
 جوزايا لويس
 نصوص حبشية قديمة
 نخبة
 نخبة
 ميجيل دي ثريانتس سابيدرا
 ميجيل دي ثريانتس سابيدرا
 بام مويس
 فرجينيا دانيلسون
 هيلدا هوخام
 هيلدا هوخام
 ليوشيه شنج ولி شى دونج
 كومورا
 لى متعدد
 روبير جاك تيرير
 سارة جاميل
 هانسن روبيرت ياؤس
 نذير أحمد الدهلى
 يان أسمون
 رفيع الدين المراد أبيادي
 نخبة
 فُرسُل
 محمد قادرى
 نصوص قصصية من رواية الألب الأفريقي
 محمد على مؤسس مصر الحديثة
 خطابات إلى طالب المصوّبات
 كتاب الموتى (الفرج في النها)
 إدوارد تيفان
 إيكوانو يانولي
 العطانية والترع والرواية في الشرق الأوسط
 جوبيث تاكر وماجريت مريونيز
 تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس
 في طفولتي (دراسة في السيرة الثانية العربية)
 آرثر جولد هامر
 هدى الصدة
 نخبة

- ٥٠٤ كتابات أساسية (جـ١)
 ٥٠٥ كتابات أساسية (جـ٢)
 ٥٠٦ ربما كان قديسًا
 ٥٠٧ سيدة الماضي الجميل
 ٥٠٨ المولوية بعد جلال الدين الرومي
 ٥٠٩ الفرق والإحسان في مهد سلاطين المالكية
 ٥١٠ الأرمامة الماكرة
 ٥١١ كوكب مرقع
 ٥١٢ كتابة النقد السينمائي
 ٥١٣ العلم الجسور
 ٥١٤ مندخل إلى النظرية الأدبية
 ٥١٥ من التقليد إلى ما بعد الحادثة
 ٥١٦ إرادة الإنسان في شفاء الإدمان
 ٥١٧ نقش على الماء وقصص أخرى
 ٥١٨ استكشاف الأرض والكون
 ٥١٩ محاضرات في المتألحة الحديثة
 ٥٢٠ الولع بمصر من العلم إلى المشروع
 ٥٢١ قاموس تراجم مصر الحديثة
 ٥٢٢ إسبانيا في تاريخها
 ٥٢٣ الفن الطليطي الإسلامي والمجنون
 ٥٢٤ الملك لير
 ٥٢٥ موسم صيف في بيروت وقصص أخرى
 ٥٢٦ علم السياسة البيئية
 ٥٢٧ كافكا
 ٥٢٨ تروتسكي والماركسية
 ٥٢٩ بداعي العلامة إقبال في شعره الأردي
 ٥٣٠ مدخل علم إلى فهم النظريات الترااثية رينيه جينو
 ٥٣١ ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟ جاك دريدا
 ٥٣٢ المقامر والمستشرق
 ٥٣٣ تعلم اللغة الثانية
 ٥٣٤ الإسلاميون الجزائريون
 ٥٣٥ مخزن الأسرار
 ٥٣٦ العلاقات وقيم التقدم
 ٥٣٧ للحب والحرية
 ٥٣٨ الفنس والأخر في تصنّع يوسف الشaroni
 ٥٣٩ خمس مسرحيات قصيرة
 ٥٤٠ توجهات بريطانية - شرقية
 ٥٤١ هي تخيل وهلوس أخرى
 ٥٤٢ قصص مختارة من الآباء اليهوديّين الحديث نخبة

- ٥٤٢ السياسة الأمريكية
٥٤٣ ميلان كلين
- ٥٤٤ يال من سباق محموم
٥٤٥ ريموس
- ٥٤٦ بارت
٥٤٧ بارت
- ٥٤٨ علم الاجتماع
٥٤٩ علم العلامات
- ٥٥٠ شكبير
٥٥١ المسيحي والعلة
- ٥٥٢ قسم مثالية
٥٥٣ مدخل الشعر الفرنسي الحديث والمعاصر دانيال لوفرس
- ٥٥٤ مصر في عهد محمد علي عفاف لطفي السيد مارسوه
- ٥٥٥ الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين أنتالى أوكتين
- ٥٥٦ چان بوربار
- ٥٥٧ المراكزى دى ساد
- ٥٥٨ الدراسات الثقافية
- ٥٥٩ الملائكة الزائف
- ٥٦٠ مصلحة الجرس
- ٥٦١ جناح جبريل
- ٥٦٢ باليين وباليين
- ٥٦٣ بربد الغريف
- ٥٦٤ عُش الغريب
- ٥٦٥ الشرق الأوسط المعاصر تاريخ أوروبا في العصر الوسطى
- ٥٦٦ الوطن المقدس
- ٥٦٧ الأصولي في الرواية
- ٥٦٨ موقع الثقافة
- ٥٦٩ نول الخلنج الفارسي
- ٥٧٠ تاريخ النقد الإسباني المعاصر
- ٥٧١ الطب في زمن الفراعنة
- ٥٧٢ فريد
- ٥٧٣ مصر القديمة في عيون الإيرانيين
- ٥٧٤ الاقتصاد السياسي للدولة
- ٥٧٥ فكر ثريانتس
- ٥٧٦ مقامات بيتونيكو
- ٥٧٧ الجماليات عند كيتس وهنت
- ٥٧٨ شوموسكي
- ٥٧٩ دائرة المعارف الدولية
- ٥٨٠ الحمقى يموتون
- ٥٨١ باتزريك بروجان وكريس جرات
٥٨٢ نخبة
٥٨٣ حمدى الجابرى
٥٨٤ فرانسيس كريك
٥٨٥ غزت عامر
٥٨٦ توفيق على منصور
٥٨٧ فيليب ثوى وآن كودس
٥٨٨ جمال الجابرى
٥٨٩ ريشارد أوزيرن وبيون فان لون
٥٩٠ بول كوبيل وليتاجانز
٥٩١ جمال الجابرى
٥٩٢ حمدى الجابرى
٥٩٣ سامين هاندى
٥٩٤ سمحنة الخولي
٥٩٥ على عبد الرووف البعمى
٥٩٦ رجاء ياقوت
٥٩٧ عبد السميع عمر زين الدين
٥٩٨ أنور محمد إبراهيم ومحمد نصار الدين الجبالي
٥٩٩ حمدى الجابرى
٥١٠ ستواتر هود وجراهام كرولى
٥١١ زويدين سارداروبيون فان لون
٥١٢ تشاشاجى
٥١٣ نخبة
٥١٤ محمد إقبال
٥١٥ كارل ساجان
٥١٦ خاشينتو بينايتى
٥١٧ خاشينتو بينايتى
٥١٨ أحمد بدالحيد أحد
٥١٩ ديبورا ج. جيرتر
٥٢٠ على السيد على
٥٢١ إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٢٢ عبد السلام حيدر
٥٢٣ ثائر ديب
٥٢٤ سير روبرت هائى
٥٢٥ إيميليا دى ثوليتا
٥٢٦ كمال السيد
٥٢٧ برونو أليرا
٥٢٨ ريشارد ابيجاننس وأسكار زارتي
٥٢٩ حسن بيرينا
٥٣٠ نجير روذ
٥٣١ أمريكا كاسترو
٥٣٢ كارلو كوالوى
٥٣٣ أيومى ميزوكوشى
٥٣٤ چون ماهر وجودى جروتن
٥٣٥ چون فيزز وبيل سينترجز
٥٣٦ ماريوبونو

٥٨٢	مرايا الذات
٥٨٣	الجيران
٥٨٤	سفر
٥٨٥	الأمير انتقام

هوشتنك كلشبرى	ت: سليم عبد الأمير حمدان
أحمد محمود	ت: سليم عبد الأمير حمدان
محمود دولت أبيادي	ت: سليم عبد الأمير حمدان
هوشتنك كلشبرى	ت: سليم عبد الأمير حمدان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية

رقم الإيداع ٢٠٠٣ / ١٦٧٦٨

هذه الرواية تعد من أشهر أعمال كشميري، وقد طبعت حتى الآن عشر مرات، كانت آخرها بعد وفاته سنة ٢٠٠٠. وتعرضت - شأنها شأن غيرها من الأعمال الكبيرة في الأدب الإيراني المعاصر - لأهواء الرقيب؛ فقد جرى إيقاف طبعتها التاسعة، مثلاً، بعد حصولها على إجازة الرقيب، في مرحلة التجليد، لمدة تسع سنوات !

ومع أن ظاهر القصة يروي انحلال طبقة الأشراف، وهكذا فهمها بقايا أمراء أصفهان الذين اشتکوه إلى وزير البلاط فعمل على «تأديبه»، فإن الكاتب يعتبرها «قصة مسخ البشر.. (بيان) ما يحدث لشخص عندما تضعه في حدود سجن العائلة، وتقطع كل ارتباطاته بالعالم فترى ما الذي يحدث جزءاً فجزءاً».